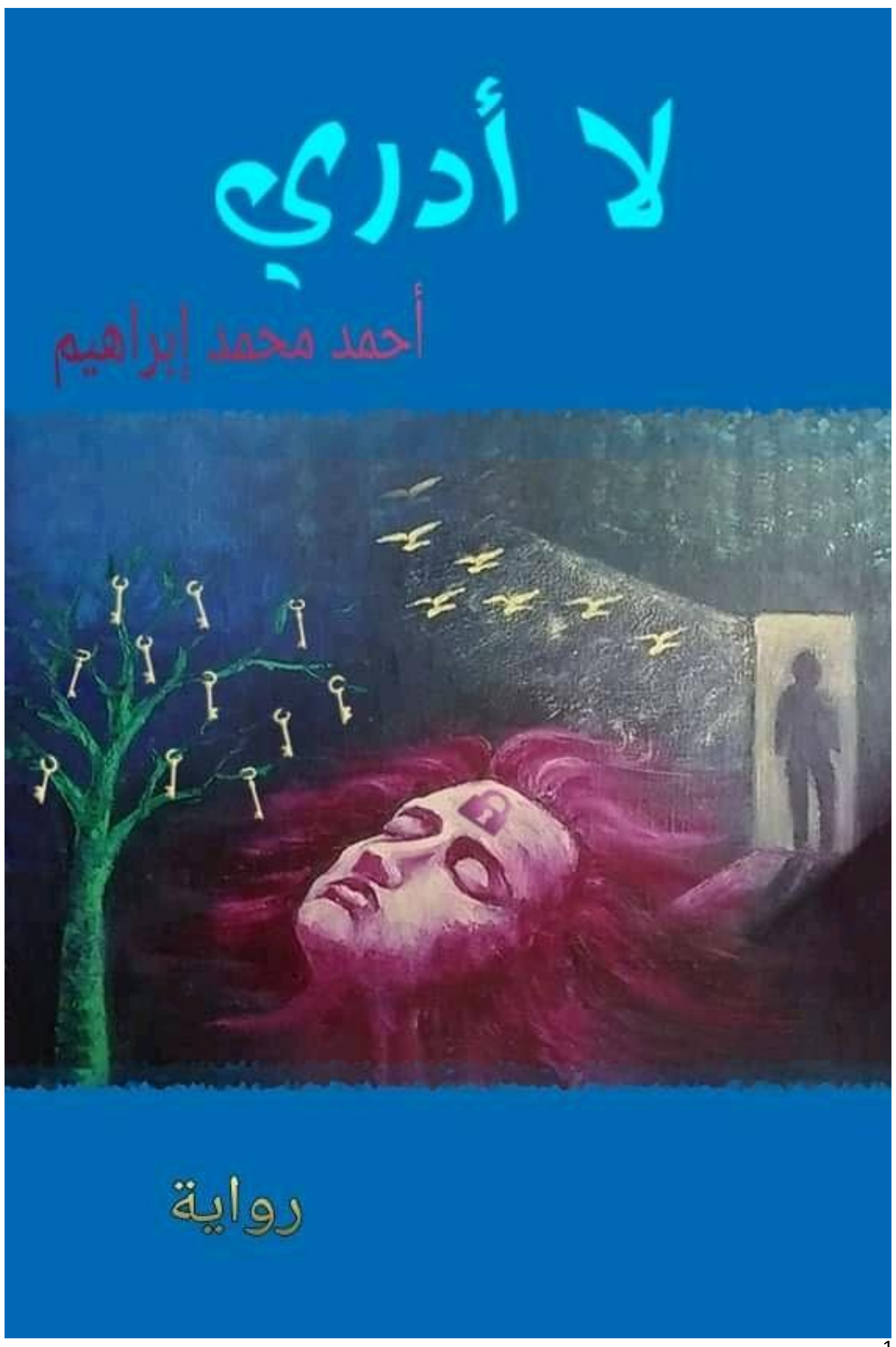

لا أدري
أحمد محمد إبراهيم
رواية

رواية: لا أدري.

تصميم الغلاف : الفنانة عالية النعيمي.

طبعة أولى : 2016

رقم النشر الدولي ISBN S987-9933-9212-0-0

الكاتب: أحمد محمد إبراهيم.

البريد الالكتروني: ae3593588@gmail.com

فــي العمــل حكايــة حــبٍ تتحــد فيهــا الأرض والســماء والمــدن والــدماء ، وشــهرزاد هنــا قــد تــروي لكنهــا تــروي عــن شــهريار ، ولــيس لــه ، متعرضــةً لأســباب وجــود المنبــت الخصــب للفكــر المتشــدد والغريــب عنــا وعــن منطقتنــا وعــن ديننــا الســمح الــذي أعزنا الله وكرمنا به.

العشق الإمبراطوري

(ليس حبا أن تقول ما تشعر ولكن الحب أن تشعر بما تقول)

بين دمشق ودبي 2011

ما أجمل سحرك أيها الخريف؟ ما أجمل نضجك السابق لمراهقة الطبيعة في الشتاء! لكل شيء طريقته التي يعبر بها عن مشاعره، لكن النتيجة غالباً ما تنتهي متشابهة و متقاربة حتى الطبيعة تمارس السحر في حبها بطريقة تناسبها قد لا نقر بطريقتها لكن هذا لا ينفي أنها تعشق الحب تماما مثلنا أو أكثر، نحن بني البشر نعتقد زيفا أن الحب هو ما نعرفه والحقيقة أن أكثر ما عرفناه ، ليس إلا وهم وضعف تقاربت الأجساد من بعضها باسم الحب لتخفيه، فهل نجحنا؟ الريح تصفر من ارتعاشات اللذة و تسقط من عليائها لتعري الأوراق كاشفة عن جسد شجري جميل ، منتظرا أن يستحم بما نسميه الشتاء ، ليقدم الجسد للبرد رقصة مع الموت ستخرج في الربيع غناء مع الحياة.

جلست بعد أيام طويلة من البحث عن أخبار شخص حبيب باعدتني الخطوب عنه وقربتني اللهفة دائما إليه! أستذكر السنين الماضية الحافلة بإنجازات الملل أو العمل إن شئتم!ها قد بلغت الخمسين ، وبلحظة حوار مع النفس ومكاشفة مع الروح أجد أني ما حققت شيئا أرضاني ، لا المقعد السياسي في الحكومة

ولا المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي للعراق ولا رواياتي ولا حتى رسومي !

كل ما كان بوحي من جرح حب ما فارقني يوما ولا هادنني أبدا! لا نجحت في الدفاع عنه لفقري الشديد ولضعف شخصية المحبوبة ولظلم أبوي باركته قبعات الدجالين باسم الدين بعد أن أرضاهم بالمال (الإله) الذي صار أول معبود ومبجل ومحبوب لدى غالبيتهم الذين ينتشر صيت عن تقواهم و زهدهم وعلمهم من تزوج شريكة أحلامي غصبا ، عرف العدو الأول للشعوب واستخدمه أفضل استخدام وحوله من قداسة قرآنية إنجيلية إلى دناسة وضيعة بشرية تظهر تارة في لحية وأخرى بعمامة أو قبعة المهم ما تطلب يا صاحب الأموال لدينا ، أرجو أن لا تظنوا بأن أحدا يكره دينا نراه نورا في أخلاق متبعيه، ما نفع الكهرباء لولا مصابيح تحولها لنور يستضاء بها في الظلمات ! هل لأحد أن يرفض دواء يعالج السرطان لأن مصنعه ملحد؟ حقيقة إيمانه بدت نورا في اختراعه فنتسابق كالفراش لنحترق رغبة بدوائه!

وبعد أن قرأت أكثر مقالتها الصحفية ، وعرفت كثيرا ما أصاب الزمن فيها ، وبعد خروج الخنازير من العراق الحبيب ، قصدت دمشق باحثا في أكوام الدبابيس عن قشة الحبيبة ، لعل هذه القشة التي أنوي الغرق معها تجعلني لأول مرة أحقق حلما تمنعه الدساتير المشرقية من الوجود للحفاظ على الجمود الذي ينعي أي تغيير حتى قبل أن يولد.

في الحقيقة وأرجو أن لا تتفاجؤوا لم أكن على معرفة حتى بأبسط وسيلة للتواصل الهاتف القتال للبراءة فقط عند الشعوب الغبية التي سكنت في خيمة وأغلقت الأبواب بوجه الرياح معتقدة بذلك أنها ستتجاوز أي تغيير أو غزو يهدف لسلبها أصالتها الموروثة عن الأجداد ، ويبدو أن شعوب العصبية القبلية حذفت الرياح معتقدة بأن لقاح قبلياً تفوح منه ريح العصبية والبداوة قد تعوض الأزهار عن محبة الإنسانية والتعايش بسلام و إيجابية مع التغيرات المتواترة سراعاً،فأثمرت لقاحاتهم تجزئة وتخلفا واستعماراً، وتجاهلوا عن سابق نفاق واحتيال أن السبيل الوحيد لحماية ما يعتقدون بقداسته يكمن بالعلم فالعلم فقط كفيل بمواجهة أشرس الأعداء ، هل لكم أن تفكروا كيف سقطنا ضحية لجلد استمر منذ أن كثر المفسرون والمغنون وقل القراء والقادة المعلمون؟

المهم وبعد أشهر قليلة من وصولي لدمشق هارباً من محاولة اغتيالي في بغداد وبعد دورات تعليمية خمس نجوم في البعد عن الإبداع والتميز والدعم لفكرة النقل بلا فعل ولا عقل!

أنشأت صفحة على مختلف مواقع الخلاعة والتناحر الاجتماعي،عفوا أقصد التواصل الاجتماعي ،و بدأت بحثاً شاقاً عن الحبيبة التي أصبحت صحفية مشهورة طيلة مدة غيابي، وحين عدت أبحث عنها ، تحولت فجأة لمعرفة بنكرة أو كما يقال اختلط الدبس بالطحين.

وبعد أن زرت كل الصحف التي عملت بها وبعد مرور عام كله بحث وفضول يشبه الحصار الذي لا مفر من الاستسلام إليه،

جـاءني اتصـال هـاتفي ، ألـو نعـم أنـا صـابر ،من أنـت سـيدتي ، صمتت ، قالت : أنا من أسميتني ذات مرة فتاة لا تدري .

يـا إلهـي الصـواعق كانـت أيسـر علـى طفـل صـغير فـي ظـلام كبيـر مما فعله صوتها وكلامها الذي تحيكه ببراعة في قلبي.

أيـن أنـت؟ لـم أتـرك شـبرا كتـب عليـه اسـم مجلـة أو صـحيفة إلا وسألت عنك.

لم أعرف إلا حين أخبرتني ماري.

لكنها أخبرتني أنها لا تعرف عنك شيئا.

أنـا مـن طلبـت ذلـك منهـا، لكـن حلمـا مـا جعلنـي أعـرف أنـك تبحـث عني .

سـادت ابتسـامة مكتومـة وجـاء صـمت يـدوي كإعصـار يمـزق قلبينا.

ما أجمل ضحكا صامتا يفرضه خجل ذكرى وكبرياء مودة!

لا زلت تحلمين يا أميرة الأحلام !

نعم، الأحلام لغة الذين يدرون أنهم لا يدرون.

سألتني: هل لي أن أراك ؟ شرف كبير لي سيدتي !

سـأعود مـن دبـي قريبـا ، عنـدي رغبـة بـإجراء لقـاء صـفحي أحولـه لروايـة تتنـاول حياتـك الحافلـة بالإنجـازات ثـم تابعـت قبـل أن يسـتنتج شـيئا ، أريـد أن أراك شـئت أن توافـق علـى طرحـي أم لا أرجوك ساعدني ثم استدركت وضحكت ساعدني الزمن صعب.

حسنا متى ستأتي ؟ أحس بخطأ السؤال فصحح بحصافته المعهودة، عندما تأتين كلميني؟ وداعا .

حين أغلق السماعة ، كانت عظامه الباردة ترقص بخشونة بالغة الإبداع ، أحس أن زوربا اليوناني ، كان محقا حين قرر أن يحزن ويفرح ويموت ويحيا راقصا.

نعم ، الجسد الذي نحتته قدرة الله ، أجمل لوحة رسمت!

لأنه أصدق انعكاس حتى لأصغر الحقائق وأكبرها على السواء!

لم يصبر قلبها الجريح ، فظلت تخاطره وتراسله وتصدر أفكار السعادة إليه فهاتفها،

وبعد حوار جليل البهاء سألها ما هو اسم حسابك على الموقع الأزرق المخادع ((الفيس بووك)):

فقالت كما أسميتني في أخر لقاء ، آه لا زلت تذكرين؟ نعم تلك التي اسمها لا تدري ، وأود أن أتمم عباراتك القاسية المتغابية للعنة المجتمع الذكوري ! حسنا أتميها، فقالت :الباقية في قلبك والجاثمة على صدرك والتي ستكون كشاهدة على قبرك ورفيقة دربك إلى السماء.

وأغلقا الهاتف القتال ! وبدأ مشوار الموقع الأزرق المخادع ((الفيس بووك))

ولكن كلاهما انتظر الصباح فالوقت تأخر ، وعادت رسائلها اللا مسموعة تثقب صمت ليله وتشعل جمر أشواقه من جديد.

كتب إليها مستذكرا و مذكرا:

يا من لا يطيق انتظاري صبراً لكي يراها أناشدك بالله أن لا تبقي في بيروت أحلامي

فقط بل أن تخرجي منها لتكوني معي واقعاً أعيشه وأتحسس لذاذة الحياة بقربك في دمشق حتى لو انتهت حياتي بعد أن ترمشك أهداب حبي وجنوني.

هل تذكرين ؟ في ذلك اليوم العجيب عندما كنا شبابا في طريقنا إلى جامعة الموصل ، حين حاول أحدهم أن يغتصب ابتسامة طفلة صغيرة بريئة بجمود نظراته وجحود وإنكار كلماته لجيلنا.

عندما قال :جيل آخر كلام، وكوفيته المهترئة التي تروي رائحة عفن ذاكرتها وتجاعيد تفاصيلها عمراً من أحزان البندقية العربية والتي تنقلت من نكبة لنكسة لإيمان مطلق بأن هزائمنا كانت إما مؤامرات أو قدر، وصوته الأجش ونبرته الخطابية هما الركام الوحيد الذي حفظته تجارب رجال النكبات والانتكاسات والذين سيصبحون عما قريب رجال الصف الأول في أمتنا ، لأننا سنبقى أبد الدهر منكوبين ومهزومين لأننا عشاق ثقافة الكذب والخطابات والتي ستبقى تساوي عند السياسيين العرب ما يساويه رغيف الخبز على مائدة الفقير، وهؤلاء هم من سوف يحاربون الكلمة لأنها ستذكرهم بأنهم لم يفعلوا شيئاً إلا لحماية كراسيهم .

صوت هذا الرجل بدا وكأنه يخرج من جثة ناطقة تقرع أذان السامعين بهيبة الخبرة والتي تجسدت بنبرة صوته الأثرية ،

وبعـد نقـاش طـال بينـي وبينـه ، وقـبلأن يغـادر الحافلـة ، ودعنـي قـائلا :(بوجهـك رجولـة) وتـابع إن الخـوف علـى الرجـال فـي هـذه الأمـة التـي تقتـل الكلمـات والزهـور والقصـائد واجـب ومبـرر . وتـابع قـائلا : إن المـرأة الحقيقـة التـي بجـوارك وهـو يقصـدك طبعـا لا يمكـن أن تكـون إلا إشـارة علـى صـدق كلماتـه، وقبـل نزولـه ردت الطفلـة علهـا تسـرق قـوة اللحظـة مـن ركـاب الحافلـة وتعيـد شـمس غروبهـا مشـرقةً جيـل أخـر إطـراء، فضـحك الركـاب جميعـا، ما أجمل الذكريات الشبابية !

- .... حبيبتي لاحقا وأبدا..............

لـم أزل أتجلـد وأتعفـف ضـعفا واصـطبارا علـى فقـدك لا صـبرا، وجهـك الممـزوج بسـحروكبرياء المـرأة الشـرقية وعينـاك اللتـان تشعان من حجر بؤبؤ يهما آلاف الكلمات الصامتة حياء لا خوفا

لا تزالان فسيفساء حيرت قلبي وأدهشت عيني بجنون جمالها !

آه لـو كنـت أدرك!كـم سـأفتقد تلـك اللحظـات الكوثريـة التـي قضـيتها بقربـك ! لمـا سـمحت لشـيء أن يباعـد بيننـا اليـوم وبعـد هـذه السـنين الطويلة لا أدري من كان فينا أسطورة الآخر.

بعـد أن أصـبح لـي أمـل بـالتلاقي معـك ، و أصـبحت كاتبـا وسياسـيا وشـهيرا ورسـاما متواضـعا لا أدري أينـا كـان أكثـر وفـاءاً لـذكرى ولادته الأولى على يد حبه الأزلي.

أنـا الـذي شـقلبتني كلمـاتي يمنـة ويسـرة بـين حبـي وحنينـي إليـك وبـين واجبـاتي وعـائلتي وكتبـي ، لـم أعـرف أيهمـا كـان أقـوى وأكثر وجودا أنت أم أنا.

الحقيقـة يسـكن العـالم مختصـرًا بعـدة كلمـات فـي أذهـان الكثيـرين ، فهــو بتفســير الكثيــرين الســلطة المــال القــوة الرفاهيــة الإعــلام ، وهـذه الأشـياء تعهـد الشـيطان بـأن يجعلهـا علـة للوجـود لا مكمـلا وكثيـرا مـا نجحـت مهمتـه ، ليصـرف الـنفس البشـرية عـن عظمـة إبـداع الخـالق , وبعـد كـل مـا حققـت عرفـت واعترفـت لروحـي بـأن حبـك كـان الـدافع والمحـرض لكتابـاتي ومغـامراتي ، كنـت أريـد الانتقـام مـن ذكربزواجـك الـذي فـرض علينـا مـن أهلـك بكـل أفعـالي وأيـام حيـاتي ، لـولا الجـراح التـي سـببها فقـدك لمـا كتبـت كلمـة ولا حققـت بعمـري شـيئا غيـر اسـتثنائي ، غيابـك كـان أكبـر صـفعة تلقاهــا قلبــي فأضــاءت وجعــا وإبــداعا وشــرودا فــي حيــاتي ، مــا أعظم قدرة الله ؟

ردت تلـك التـي اسـمها لا أدري : خرجـت ؟أمـامي كبنفسـج مختلـف الألوان بهي المنظـر طيـب الـريح ، لـم أكـن أعـرف مـا لـذي يجـذبني إليـك ؟ وكأنهـا جاذبيـة أقـوى مـن قـدرتي علـى التـوازن أمـام سـطوة مشــاعري بحضــرتك ، كنــت ألاحقــك بنظراتــي وكنــت تتهــرب مــن ضـــعفك لا منـــي لتتكـــر بـــذلك أنـــي إلهامـــك وضـــعفك وقوتـــك وتناقضـك السـاكن فـي قلبـك أبـدا، لـم أكـن أسـتطيع الاقتـراب منـك لأن الـذعر الـذي كـان يلـم بـك حـين ترانـي وكأنـه إغمـاء تسـلل إليـك ليلهيـك عنـي يجعلنـي أخـاف منـك وعليـك ولكـي أتجنـب ألـم الرغبـة فيـك كـي لا أصـدم كنـت أتجنبـك فـي شـهور تعارفنـا الأولـى ولكنـي اليـوم أدرك أن الله رزقـك شـعور الخـوف منـي لأبقـي مـداد أحزانـك وإبداعاتك الأبدية.

دموعي بغيابك وفقدك أعظم من كل كتاباتك هي حفظتك بذاكرتي وبأجزاء من جسدي خالدا أما أنت أفرغت حبي لتهرب منه على ورقك ورسمتني ولونتني وشيبت وجودي لأكون بحياتك حدثا لا وطنا يسكن فيك إلى الأبد وها أنت ذا تقر وتعترف!

كان زوجي حين يستيقظ يتناول قهوته وفطوره دون أن يجرؤ على أن يوقظني لأنه اقتنع بما أخبرته أن فنجان القهوة والفطور الصباحي يجعلني تعيسة طيلة النهار والحقيقة كنت أتجنب ذكرى قهوتك الصباحية الرائعة التي كنت تعدها لي في معسكراتنا الصيفية.

افتح التلفاز عندما يغادر الزوج المفروض زوج الجسد والحاجة والعادة فقط

لتكون أنت حبيب الروح والرغبة والعبادة في قلبي ، فأشاهد الكاميرات تأخذ صورك وتتحدث عن نشاطاتك الأخيرة وأسمع أولادي عباراتك الحكيمة وأترنم بها أمام زوجي وضيوفه

كم كنت أشتمك لأنك لا ترحل مني ؟

قاطع صابر معاتبا بصورة استفسار: لماذا لم تحاولي رؤيتي بعد أن تركت العراق عام 2009 عقب محاولة اغتيالي ؟

فردت تلك التي اسمها لا أدري متهربة من عتبه السابق : لقد سمعت عن توقيعك لمعرض رسم تجريدي أقمته في دبي ، وعائلتي كلها تعرف أنك المفضل لدي من الكتاب والسياسيين

والرسامين لدرجة أن أحدهم إذا أراد أن يسعدني قدم لي شيئا من إبداعاتك كهدية.

وحين فاجأني زوجي بحجزه لنا على متن الخطوط الإماراتية ، لم أكن أعرف أنه يريد أن نحتفل بذكرى فرحته ونكبتي أقصد عيد زواجنا ، بحضور معرضك وتحقيق أمنيتي برؤيتك، وكم اختلقت الأعذار وتذرعت بالمرض وكره الرسم و الملل واضطر زوجي سدا لكل ذرائعي أن يحجز للعائلة كلها حتى لا أهرب من مفاجأته، الكل كان راغبا بالتعرف إليك بعد أن عشقوك من خلال كلماتك التي لا تفارق حواراتي ومناظراتي الثقافية.

وحين دخلت دبي أغمضت عيوني خوف مصادفة لخيالك في تفاصيل الأمكنة التي مررت بها ، فذكراك لا تزال تسري دافئة في قلبي، وعندما جاء ذلك الخميس، لم يعرف جسدي للنوم سريرا ولا عيوني للشوق ضريرا يوازيها بما فعل الشوق من رمد وجمر وعذاب من حبك فيها.

لم أنم وأنا أفكر كيف سأضع نظراتي وقلبي وحياتي وكل ما بي بين ميثاق شرف الزواج وقدسية الحب الأول والأجمل ؟ راحت أهوائي تتنازعني وكأني طريدة آلاف الصيادين ما بين حبي وهيامي وشوقي وحنيني إليك و بين التزامي وواجبي وأجزائي التي تحمل حبي في تفاصيلها لأولادي .

وحين جاءت السيارة في الصباح ، وتغلغلت دبي في أعيننا عبر بوابات سحرها وجمالها وجسور الحداثة وعمليات التجميل الغربية فيها ، تخيلتك تصفها لي وتبدع كعادتك ، هي أنت

فشـــوارعها منفوخـــة كشـــفاه قـــد أخـــذت ســـيلكون ومبانيهـــا أبـــراج متباينـــة التصـــميم شـــاهقة الارتفـــاع ، لكأنهـــا تطريـــز إســـمنتي ينتصـــب كالـــدبابيس علـــى أراضـــيها، قطاراتهـــا الممتـــدة كـــالأوردة و نخيلهـــا المـــوروث الوحيـــد البـــاقي مـــن أثـــر البيئـــة العربيـــة التراثيـــة، وحـــين نزلنـــا نتنـــاول طعامنـــا كنـــا نـــرى جزيـــرة النخيـــل الممتـــدة كالأصـــابع فـــي الخلـــيج العربـــي أحسســـت كمـــا لـــو أنهـــا أصـــابعك تحـــاول أن تنتـــزع قلبـــي مـــن أحشـــائي وتمتـــد لتقتـــل كـــل التزامـــاتي مـــن أولاد وزوج ومجتمـــع لأبقـــى لـــك أنـــت فقـــط، لأنهـــم لـــو اكتشـــفوا مـــن أنـــت وغـــلاك أنـــت فـــي قلبـــي بعـــد أن بلغـــت الخامســـة والأربعـــين مـــن عمـــري وبعـــد عشـــرين عـــام علـــى فرقتنـــا لاحترقـــت قلـــوبهم حقـــدا علي وغيرة منك.

وحـــين دخلنـــا روضـــة المركـــز العربـــي الثقـــافي بمهـــا الصـــحراء العربيـــة(دبي)، أحسســـت بحلـــم ينتـــزع الواقـــع ويحتلـــه ويتبـــادل معـــه الأدوار وبـــأن الحـــب بلـــغ مرحلـــة الهـــذيان فـــي قلبـــي ونظـــري ، لـــم أكـــن أتمالـــك حركـــاتي ولا كلمـــاتي ولا أنفاســـي وكـــأني فـــي بيتـــي متحـــررة مـــن كـــل القيـــود المفروضـــة ، لكـــأني أرقـــص كجماعـــة صـــوفية ســـكرت فـــي حـــب الله وغابـــت عـــن وعيهـــا بفـــيض الحبالـــذي جعـــل ســـكرها عبـــادة أي حضـــرة بـــل أي ســـطوة لوجـــودك أيهـــا المحبـــوب ، لقـــد كـــان المركـــز يشـــبهك كثيـــرا بكـــل تفاصـــيله، فبابـــه الكبيـــر ذكرنـــي بكبريـــاء رجولتـــك، وزخرفاتـــه الشـــرقية الفارســـية ورســـوماته الهندوســـية الهنديـــة والفسيفســـاء الصـــينية البوذيـــة وآيـــات القـــرآن الكـــريم وأبيـــات الشـــعر العربـــي القـــديم جعلتنـــي أحـــن لصـــوفيتك التـــي أمنـــت بكـــل شـــيء يمجـــد الله المحـــب والعبـــد الضـــعيف الخـــاطئ اللاجـــئ إلـــى الله ، لـــم تكـــن رغبتـــي تريـــد أن تـــرى شـــيئا إلا

لتتذكرك به، وكأن دبي تحمل شكل مدينة ومضمون قديس لا نستطيع إلا أن نعظم محبته في قلوبنا وزارت عيوني على غفلة وسهو مني وجهك بعد سنوات الحنين المخضب بدماء الشوق والذكرى و كأن دما من زمرة أخرى قد دخل دمي فار تصت الذكريات تعصر قلبي بجنون عظمة الحب الأول! رأيتك نعم رأيتك وكأنك آدم وليس قبلك بواقعي أو حتى مخيلتي رجل ذقنك الذهبية التي تتموج فيها خيوط الشيب البيضاء أحسست كما لو أنها وجه نمر سيبيري مرقط له هيبة في الغياب والحضور، وابتسامتك الدائمة كانت كما لو أنها من واجبات الضيافة العربية ولغتك الطليقة بكلماتك المختارة المنتقاة العذبة بصوتك كانت تشق قلبي الذي يحاول جاهداً أن لا يغمى عليه حتى لا يحرم من جمالك الفتان ,أي قطار أنت ! ينطلق بسرعة الحب التي تسبق سرعة الضوء عند الشرقيين ، والتي قد تكون أسرع من الضوء إذ ما قيست بيسر وسهولة ممارسة الجنس لدى الغربيين بعد لقاء أو لقاءين.

كنت خلف رسمتك التي أسميتها بمدارات الرؤية ، راح بدني يرتجف من الخوف والحب والبرد وخرجت مسرعة خشية أن تراني وتظاهرت بالإعياء مجبرة زوجي على المغادرة معي بينما بقي أولادي ليمطروك بمحبتي وأسئلتي دون أن يعرفوك.

هل كنت أيها الرجل مهما بلغت من الرقي ؟ ستجاري ولو شكلاحبا جارفا احتضنه قلب امرأة!

فتابع صابر الحديث عنها ، نعم يومها جاءتني ابنتك .

ماسمك؟

- سيدي اسمي حنان

سمعت الكثير عنك ، ممن سمعتي سيدتي؟

والدتي ! (شعور ما كان يقول لي بأنك حولي وبشكل يكاد يجردني من ثياب لبسها نظر المجتمع كلما حدق صوبي.)

توترت وتسرعت نبضات قلبي فقد تكلمت بأسلوب يشبه أسلوبك، سألتها ما اسم أمك؟ هنا كاد قلبي يتوقف ودموعي تسيل من شوق شقي وحنين خفي يستوطنني كلما ذكروك أمامي!

- أمي مريم ، ابنتك كانت أذكى من أن تخفى عليها أحزان عاشق تغزوه أعاصير الذكرى التي تكاد تفوق بارتفاع نبرات شجونها ارتفاع قمة ايفيرست.

ثم سألتني ما تلك اللوحة؟ فاستعدت لحظات وجودي من مقصلة الذكريات التي تعصف بقلوب محبة وحنونة فقط ، وأجبتها : إنها **مدارات الرؤية**، خطفت مني استرسالي ، وعادت تسأل! سيدي ماالمقصود بالمستطيلات التي تخطف مايزيد على نصف اللوحة وبشكل متواز، ما الرسالة التي تريد قولها؟ وتابعت وفضول المرأة يغزو تفاصيل أفكارها!وماذاك العظم البارز من وجه اللوحة ويتطاير؟ ما تلك الأسهم التي تخرج طورا وتعود تارة أخرى ؟ ثم استدركت إنصاتي واعتذرت على غزارة فضولها !

وطلبت مني صورا للذكرى ، وشكتك لي ، فقالت أمي لا تريد العودة لدبي معنا ونحن غدا نسافر مع والدنا وتبقى أمنا وحيدة

بدمشق تقول إنها تستعيد روحها، لكنني عدت معهم لأحصل على إذن من مجلتي للعمل بدمشق...

سيدتي : نولد أحرارا كما قال سيدنا عمر ولكن الحرية التي قصدها وأفهمها حرية موهوبة للإنسان من الشر، هي ثوب يقيه من شر التعاسة عندما يحب أخاه ، عندما يعرف أن الخير في بيت جاره خير يعود عليه.

الوجه هو كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام (ما أضمر أحد من شيء إلا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه).

هذا الوجه المحصور بسبع مستطيلات متوازية كإطار ، يبرز عظام وجهه من كثرة ما عاش ويعيش كذبات الدنيا ويتألم ضميره الموهوب له (الحر من الشر)أمام الجشع المكتسب عنده من زيف لصوص المجتمع.

وتلك الأسهم التي تخترق المستطيلات من الداخل تعكس أثر الإنسان الطيب وضميره الحي وخالقه المبدع كما يؤمن به، بما حوله ، والأسهم التي تخترق المستطيلات من الخارج تعبر عن الشر والشيطان والشهوات.

وهذا الوجه الذي برزت عظامه يخوض معركة التفاحة والإغواء ، فإما أرض أو جنة.

أما المستطيلات : فكل واحد منها يمثل جانبا من الحياة وما اخترقه السهم من الداخل دل على إنسان إيجابي خير فاعل ، وما خرقه السهم القادم من الخارج دل على إنسان سلبي منفعل.

ثم ابتسمت وأخذنا الصور التذكارية وغادرت الصالة ، لم تطلب رقم الهاتف أو الفاكس وكأنها أنت .

ثم التفتت وعادت وعانقتني عناقاً اخرج رجولتي دمعا على كتفيها، وضعت فمها التتري المختمر الشهي في أذني التي أصبحت مخمورة بعدما سمعت صوتك في حنجرتها كأنشودة لا تعترف بالزمن، واستدركت : الآن عرفت لماذا لا يتعانق الصليب والهلال إلا في دمشق وبغداد وبيروت، الآن عرفت لماذا عانقك صليب أمي ولماذا تحول هلالك قديسا تعبده أمي في جامع المسلمين ؟

تركت الصالة وعدت للمرسم . ألقيت أخر مليار قناع لبسته ، ورحت أستذكرك وأتلهف رؤيتك وألوم نفسي لأني لم أطلب رقم الهاتف.

ولما عاد هواك وعاد الشوق المحموم الذي لا يرويه وجهك بنظرة ، بدأت أفكر بشيء ما يوصلني إليك ، كنت مغامرا بالأفكار طيلة حياتي أما اليوم قررت أن أغامر بالأفعال سأجدك وهذا الأمل هو ما يجعلني أحيا متفائلا وقويا كل رغبتي لقياك قبل أن يسبقك الموت ويستغل علامات مرضي .

فالعمر المتقدم نوعا ما أغمدسيفه بجسدي المتساقط كالأسنان اللبنية وبدأت أفكر جديا بكرسي اعتراف أمام عائلتي ،ولأنه يتأمل عودتك لن يستسلم إلا بين ذراعيك للضعف .

قالت تلك التي اسمها لا أدري : هل تذكر أخر مرة التقينا فيها بمكتبة الحاج علي

قاطعها : وكيف لي أن أنسى , هل تسمح عيناك الدامعتان وقتها لقلبي بالنسيان ، حين ذاك هربت من الحقيقة وغيرتها كي لا تؤلمني وتألمت وحيدا , حينها قلت لي مبررا وأنت تجهد أن لا يظهر ولو انطباع واحد على وجهك يزعجني , بأن أهلي رفضوك لفقرك ليس إلا, وأن سعادتي في جزء كبير منها أن أعيش بالحد الأدنى بالرفاهية التي أعيشها عند أهلي وكم كنت تزداد جمالا و بهاءاً بعيني يومها أخفيت رد والدي بأنك مسلم ، وحين قلت لك،هل رفضك أبي لأنك مسلم ؟

فأجبتني :أنكم المسلمون في أول كتابكم المقدس تقرون بحقيقة الإيمان بما نزل من قبل بنص شرعي واضح وقلت لي نحن أبناء طوائف مختلفة لكننا من دين واحد ، لأن الحب والسلام دين الجميع , لأن كل مسلم هو في حقيقته مسيحي وأن أبي لم يقل شيئا ولكنه يريد لي الأفضل وهو محق.

حينها لم أدرك أنك تخفي الحقيقة ، وتركتك وحيدا وذهبت ودمع وهزيمة ومرارة هي ذكرى أخيرة منك في روحي تستوطن.

ظننتك تنسحب وتهرب من حياتي , لأنك قلت لي بأنك فقير ولا تملك أحيانا حتى ثمن طعامك، لم أعرف أنها كلمات أبي الجارحة التي سقطت كسكين في قلبك تدميك.

كان جمالي يثير غرائز من حولي ومشاعرهم، وأهلي يتمنون أن تذهب لعنة الضيوف الذين كانوا يقدمون كل مساعدة نريدها من أي مكان وبدون طلب للفت انتباهي , المختار ذي الستين عاماً دبر لأخي وظيفة وساعدني في عدة معاملات حكومية، وفاجأنا بطلبه الزواج مني , والطبيب الجراح المتعجرف الذي

أهنت كرامته وجعلته يذهب دون أن يفكر بالعودة مرة أخرى, وكأن الجمال لعنة في حياة المرأة يجعل منها سلعة الكل يتهافت ربما فقط لنيل الجائزة الكبرى بالحصول عليها وبدون حتى أن يحبوها حقا, وأخيرا تقدم لي ضابط يفوقوني عمرا وخبرة وفهما وتحت إغراءاته لأهلي قدمت له على طبق البركة العائلية والقبول الكنسي والاحتلال الصارخ لرغباتي .

عشت معه أعوامي الماضية مختصرة زواجنا كل ليلة بخمس دقائق في فراش الجسد وجهنم الروح وأتابع بالنهار اختصاري العاطفي بالتطويل حينا والإيجاز أخرى في العمل أو البيت وهو يعرف أني أهرب منه .

تواعدا أن يلتقيا في عالم حقيقي وأن الافتراض أو الانترنت الذي ساعدهم بإحدى أدواته الرائجة (الفيس بووك) لا يكفي لإكمال الحديث.

هو في بيت العرب ومسقط رأسه (دمشق) ، وهي تعيش في الهجين الغربي العربي (دبي)، هو في عاصمة تكافح أعراض السقوط العربي الذي بدأ منذ اتفاقات الاستسلام مع العدو الصهيوني في أدمغة مريضة بالوهم وتعاني حمى خدعة السلام مع الكيان الذي حول سلامهم لاستسلام، وهي في ركن أضاءت فيه حداثة تحاول جاهدة أن تجعل من العرب روادا وأسيادا في العالم الحديث لا عبادا.

هو في بلد يعشش التاريخ في كل مصطبة وبيت وحارة وحتى سيارة ، وهي في بلد يمتشق سيف الحداثة في كل مشروع وناحية ومبنى .

لكأنها لعبة الطرة والنقش الوجهان حقيقة لعروبة واحدة وإسلام إنساني لا طائفي تسكنه عفونة قبيلة أو قسوة وجفاف عقول البدعة.

هي في بلدٍ رآه الشيخ المغفور له زايد و حققه، وجعل منه درةً تضاهي أجمل وأبهى وأحدث مدنِ العالم ، وهو في مدينة بناها شموخ اجتماع العرب عبر التاريخ ورجولة و حكمة الرئيس حافظ الأسد.

كلتا المدينتين تشهد أنها أخت للأخرى وأنها سند للأخرى ، حجارة دبي قد تبكي شوقا لروح صلاح الدين الذي ما كانت لولاه هناك بالأصل أمة عروبة، ودمشق تفتخر بأن العرب يملكون بلقيس أخرى لزمان أخر ، وتتباهى قائلة: نحن إذا قررنا أن نسوده بأخلاقنا بعروبتنا بكل ما فينا سدنا.

كلتاهما تبدأن بحرف الدال ويحق لهما التيه والدلال، كلتاهما منارتان والعالم يعرف السيف الدمشقي ويعرف حداثة دبي.

هذا الجناس والاختلاف يتحول طباقا وانسجاما بين أحجار وأدباء ورجال وشعراء أمة واحدة تسكن مدينتين ، المدن تتحد ونحن نقاوم شهادة الحجارة بوحدتها وعروبتها وإسلامها ربما لجهلنا بكل اللغات التي توحدنا.

كيف سيلتقيان ؟ وهما يظنان أن المدينتين في دولتين وعالمين واتجاهين مختلفين ، وحقيقة الأمر كما قلت لكم تجيب عليه شهود صوتها لا يسمع لأنه إما أن يعشق فيسمع أو أن يتجاهل

فنضيع نحن العرب بضياعه ، ولكني أؤمن أن انتفاضة للحجر ستهب ضد الحدود لتعيدنا أمة عربية واحدة مهما طال الزمان.

كلاهما ولدا بالعراق الغارق في خدع ومؤامرات صنعها ذئب غربي وعقرب أعرابي ولكل منهما أذنابه ،كلاهما بحسب الميلاد بهوية عراقية ولكن لا تنتهي حدود الإيمان بالأمة عند جغرافية العراق العظيم .

أي حظ هذا تتحول أمم أوروبا المتباغضة والمتصارعة لاتحاد يعيدها بعد زمن أمة ، ونحن أمة تحرق وتغرق وتمزق كل يوم شيء من مشتركاتنا فلايبقى مشتركا بيننا لا ولن ولم يزل إلا لغتنا التي تحولت أرملة تشتاق من يضاجعها ولو بنظر وكأن سان الحال يقول : الضعيف يزداد فرقة وضعفا والقوي يزداد تجمعا وقوة.

رن هاتفه، تثاقلت خطاه ولكن شباب دب في حركاته لأنه تذكر أنها قد تكون المتصل و عادت روح الحب تنبض في قلبه حنينا..

مرحبا، كيفك ؟ بدنا نحدد موعد نلتقي فيه!(تعلمت لغة الشام المحلية)

نعم ، لكن، أين وأنا بسورية وأنت بدبي، قالت : لا عليك سأتدبر الموضوع ، ما رأيك بشهر شباط .. لا مانع لديك ! نعم نلتقي أن شاء الله ، وداع الوداع نلتقي قريبا، أغلقت الهاتف ، أف لقد نسيت أن أحدد التاريخ باليوم ساعة ومكان اللقاء، فكرت لكنها انسحبت من قلبها ومشاعر ضعفها وقررت أن تبلغه في

المرة القادمة وأن تقاوم لهفتها بتحديد الموعد، أما هو فظن أن الموعد ترك عمدا ليطلبه ، فتكون له الأفضلية والأريحية بالزمان والمكان

شهران من التحضير لزفاف اللقاء

(ركوب الخيل لا يعني أنك تتمتع بالفروسية)

دبي 2011

بعد أن أغلقت الهاتف ، نسيت أن تنسى أنه لازال بعيدا وأن الشرود الطويل سيعجل باكتشاف ما تنوي القيام به ، ثم قررت العودة لحياتها الاعتيادية ريثما تقرر كل ما يتعلق باللقاء.

بدء رئيس التحرير في مجلة الخالدون ، يسأل ويفتش ويحاول أن يجمع فكرة عن ما يدور بخلدها ، فلقد تعود الجميع على أعمالها الصحفية الرائعة والتي لا تعيرها الاهتمام الكافي، أما في حديثها صباح الأسبوع الماضي ، كانت عيناها تبرقان وصوتها يعزف أسطورته كقيثارة وجسدها مشدود على غير العادة، وهي تخبر الجميع بأنها عثرت على صندوق أسود يتحدث عن أسرار وتفاصيل عاشها العراق تحت الاحتلال وقلة من يعرفون هذه التفاصيل.

لقد حصلت - لكونها الأبرع في عملها بالمجلة ولأنها حصدت من سنوات إقامتها في دبي سمعة طيبه- على تمويل كريم من السيد أدهم يشمل كل تكاليف الرحلة من مبيت ومأكل ومشرب

وحتى أدنى التفاصيل ، المهم أن يحصل القارئ على معلومة من مصدر له اسمه وتاريخه في العمل الصحفي.

لم يبق سوى الزوج والعائلة ، حتى توضب أغراض السفر بلا مضايقة من أحد.

وبحكم العادة لم يعترض الزوج ،لأنه يعرف أنها ما كانت يوما عادية في إخلاصها له ولأولادهما،ولأنه يعرف سلفا أن عناد هذه المرأة شيء لا يمكن أن يتغير مهما حصل.

أما ابنتيها فالغرق بمفاتن العالم وحب السياحة والسفر وعشق التاريخ والتكلم مع الحجر ، بات كل ما يهمهما.

بدأت تفكر مضى كانون الأول ونحن في كانون الثاني وبرده غني عن التعريف .

ثم جاءها اتصال منه ! ألو مرحبا هلا كيف حالك

الحمد لله ، سألها : هل نسيت شيء ما المرة الماضية؟

آه نعم موعد ومكان اللقاء! أليس كذلك ؟

ماذا تقترح ؟ أجابها :أنا متقاعد لا عمل عندي فالحياة تستحق استراحة لنستمتع بها.

أوه ! نعم فليكن اللقاء بشهر آذار في يوم الانقلاب الربيعي .

ضحك ! عرفت أنه فهم الإشارة ، فراوغت بسؤال : ماالمضحك؟

قال :لا شيء مهم .

أمـا السـاعة يـا سـيدتي فلـتكن فـي الخامسـة صـباحا، أصـابتها الدهشـة وسـألته علامـا؟ فقـال الفجـر صـديق وسـطي بيننـا لا هـو متسـربل بليـل ولا هـو متسـربل بنهـار هـو وسـط بـين جميـع التيارات ، أجابت لا مشكلة اتفقنا وداعا وداعا.

أغلقـا السـماعة، وهـي مـا زالـت تحـاول أن تعـرف مـا أضـحكه ! حين حددت موعد اللقاء.

عـادت لفراشـها الـذي اعتـادت أن تـدس جسـدها فيـه كلمـا أرادت أن تفكـر بعمـق ، لكنهـا وعلـى تعـب الفكـر وإعيـاء الـروح للقيـا، هجـرت أفكارهـا المحبوسـة إلـى بحبوحـة مـن أحـلام متخمـة بالشـوق والحنـين أيقظهـا شـخوص الحبيـب كخيـال أقـرب مـن قبـل ومـن رغبـات وملـذات لـم تعرفهـا حيـث تمنـت بـل حيـث أرادت عـادات القبيلـة الأبويـة أن تـدفنها فـي زوج هـو الأنسـب للعائلـة وكأن العائلة هي من ستتزوج.

فـي صـبح اليـوم التـالي طلبـت مـن مـدير المجلـة إجـازة وتـذرعت بـالمرض ولأول مـرة فـي تاريخهـا المهنـي تتغيـب عـن عملهـا، وأثنـاء تناولهـا كـوب الشـاي ومتابعتهـا للتلفـاز ، سـمعت عـن مـا يسـمى بالبرمجـة اللغويـة العصـبية ، وبـدأت تفكـر بشـيء أكثـر جديـة لتفـرغ طاقاتهـا وتسـتعيد حيويتهـا ، أوه اليوغـا وانتظمـت بالفعـل ولشـهرين متواصـلين بتمـارين اليوغـا، لا زالـت الأنثـى التـي تحـب أن تكـون الأجمـل فـي عينـي صـابر ، تحيـا فيهـا بـالرغم من الإهمال الذي أصابها بالسنوات الماضية.

وصـباح يليـه ليـل وتعاقـب سـريع مـن الأيـام وضـعها علـى قرابـة أسبوع من تاريخ السفر لدمشق.

جـاء الصـبح علـى غيـر عادتـه فـي حيـاة عائلتهـا، فلطالمـا كانـت السـباقة فـي الاسـتيقاظ أمـا اليـوم تـأخرت حتـى الثامنـة ، لكنهـا لـم تجلس كثيرا لتناول إفطارها ، أسرعت للخروج .

ذهبـت السـوق تبحـث وتبحـث علـى غيـر عادتهـا فقـد كانـت تشـتري مـا تـراه دون أن تسـأل عـن جمالـه بعـد اللـبس ، أو مناسـبة لونـه لوجههـا ، ويبـدو أن البـائع الـذي خبرهـا سـنين عديـدة أحـس بشـيء مـا غيرهـا فجـأة ، لكنـه ولإيمانـه الشـديد بـأن مـا يجـذب الزبـائن للشـراء هـو وبالدرجـة الأولـى حسـن القـراءة لمـا يريـدنا الزبـون أن نقـول ، ولطالمـا اشـترى النـاس مـن بضـاعته لأنـه أفضـل مـن عـرف بحسـن الكـذب علـيهم ولأن كذبـه التقـى ورغبـات هـروبهم مـن مآسـيهم الشخصـية ،تحـول الكـذب صـدقا وكأنهـا حـرارة النـار فـي ليـل حـار والتـي يفضـلها الخـائف علىرطوبـة الجـو المعـتم والمظلـم لأن الخـوف مـن المجهـول قـد ينهـي حيـاة المتمسـك بـالنور والنار.

أمـا هـو فكعادتـه بـين النرجيلـة فـي المقهـى والمرسـم فـي البيـت يقضـي جـل أوقاتـه إلا أن مـا طـرأ بعـد اتصـالاتهم المتعـددة ميـل واضـح فـي شخصـيته لمتابعـة الأفـلام الرومانسـية وزيـارة الأمـاكن الطبيعيـة والهـرب مـن المسـؤولية وكـأن مراهقـة السـتين عـادت فـي أحلى إطلالة خريفية.

اللقـاء بأرشـيف تـاريخي أسـماه الله دمشـق وعشـق صـوفي أسـماه ب لا أدري

(ما قيمة برج ايفيل لولا أنه يعيش في قلب أمة حية)

دمشق 2012

وضـبت أغراضـها قبيـل لـيلات طويلـة مـن تـاريخ السـفر ، و ككـل الفتـرة التـي سـبقت سـفرها لدمشـق ، أصـبح سـلوكها علـى غيـر العـادة وبـات مـن الصـعب حقـا علـى مـن عرفهـا طـوال سـنين إقامتها في دبي أن يتنبأ كيف ستتصرف ؟

ودعـت ابنتهـا وزوجهـا وأصـدقاءها ومـدير مجلتهـا ، ووعـدتهم بعمـل يكـون أجمـل ماكتبتـه طـوال سـنين مزاولتهـا لمهنـة الصـحافة، ويبـدو أنهـا كانـت تخطـط لعمـل خالـد ينسـج حولهـا الأسـاطير الصـحفية قبـل التقاعـد ولعـل فـي القـادم مـن الأيـام مـا يلبي رغبتها.

هاتفهـا صـابر ألـو مرحبـا كيـف الحـال ؟ متـى سـتكونين بمطـار دمشـق ؟ أحتـاج لسـاعتين علـى أكثـر تقـدير لأصـل دمشـق أوه حسـنا الياسـمين الدمشـقي يتلهـف صـبابة لرؤيتـك وفجـأة يطلـب من المسافرين شد أحزمة الأمان فينهيا المكالمة.

التـوتر يمـلأ قسـمات وجـه صـابر والحيـرة والارتبـاك ، ولكـن صديقه بدأ معه حوارا هادئاً ليزيل مفاعيل القلق البادية عليه.

سأله صديقه ، صابر ما بك؟ ما هذا الشرود يا صديقي ؟ شاركني بهواجسك؟ كنت أتوقع منك أن تكون أسعد إنسان في العالم لأنك تثبت أن الحب ولو بعد ثلاثين عاما لا يفقد بريقه وأصالته ولكني أرى بدل ذلك خوفا واضطرابا.

أجابه: أتعرف يا صديقي أتمنى لو أستطيع الهروب منها والانسحاب لأني أخاف أن أفقدها مجددا حتى ولو كصديقة لا أكثر.

قال الصديق : وكيف ستقص عليها ما أخفيته عن أقرب الناس إليك طيلة سنواتك الماضية، ألست القائل : (إن من يدلي بسره لامرأة يكن كمن يلقي بنفسه من السماء متكلا على يديه لتطيرا به). رد صابر أتعلم يا صديقي ؟ ما جمال أن تشارك ما أخفيته أعواما عن الناس مع من أحببته طيلة حياتك مع من كان سراجا في أحلك أيامك، ولقد قررت أن أنشر القصة واحتاج لامرأة من ناحية ولمن أثق به من ناحية أخرى ، فما تنشره المرأة بالحالة الطبيعية وبدون إعلام يكون أسرع في الوصول.

كم مر من الوقت ساعة ونصف ، اضطرب صابر..

وغادر صديقه بناءاً على رغبته ، أراد صابر وكعادته أن يعيش الخصوصية بحدها الأقصى ، هو سيخبره بكل التفاصيل لكنه لن يسمح بتشاركها معه.

نزلت من طيارتها واستجمعت قوتها ، وتقدمت بثوبها الكحلي اللون الواقع مابين النضج والمراهقة والخصوصية والرسمية

والواقع والخيال ، تصافحا لثمت خديه بقبلها التي سببت خدرا استمر لساعات عدة، ضمها وهمس في أذنيها يبدو أننا لا نزال شبابا.

ولكم ارتجفت من ألم الخجل و الذكرى ، كانت تستصعب لحظة اللقاء بالحبيبين دمشق وصابر، ولكنها تجاوزت الموقف واستقلا سيارة إلى بيت عربي استأجرته لتعيش التفاصيل الدمشقية المحببة على قلب كل عربي ولتغير من طبع الحياة ونمطها السريع الذي تركته في دبي .

أثناء التجوال بالسيارة، كانت دمشق تمتد وتمتد بدون نهاية وكأنها بأذرعها الكبيرة في تاريخ العرب تنتزع القلوب لشدة التصاقها بتاريخ العزة والإباء .

ترجلا من السيارة إلى سوق الحميدية المسقوف الذي لا يعرف عمره على وجه التحديد لأنه أقدم أسواق العالم، وامسك بيديها والصمت يرافقهما كخيمة .

هو لأنه يمارس أفضل شعائره وطقوسه بزيارة الروح والجسد المتكون في لب العالم القديم (دمشق) مع أكثر امرأة أحبها طيلة حياته، وهي تستكشف عالما ليس بالغريب عليها ولكن سحره يبقيها عاجزة عن التعبير .

حانوت يبيع التحف الخشبية كتب على جدرانه مواليده التي تزيد على عمر دول عدة بالعالم، وشيخ فيه قد شابت معالمه وشاخت ومع ذلك لا زال السحر الذي يصنع به منحوتاته يغرقه بآلاف السياح والمحليين القادمين ليتعطروا بعبق الأصالة وروح

التجديـد، وجـامع فـي وسـطه النـافورة وزخرفـات لا تقـدر أشـد الإبـداعات الحاليـة لأعظـم النحـاتين أن تـأتي بمثـل حنينيتـه، والبوظـة العربيـة فـي هـذا السـوق التـي قـرأت عنهـا فـي إحـدى الصـحف الأوروبيـة، كـل ذلـك ولازالـت لهفتهـا تتسـارع لزيـارة الجامع الأموي ومقامات الأولياء والصالحين .

كانـت تـتلمس بخطاهـا الحجـر وتسـأل كـم مـن البشـر قبلـي داس هـذا الحجر ؟ كـم عمـر هـذا الحجـر؟ كـم لديـه مـن الـذكريات ؟ آه مـا أحـن حجارتـك يادمشـق علـى كـل البشـر ، هنـا كـان حكـام العـالم يقطنـون ومـن هنـا خرجـت أعظـم الحضـارات للنـور، زارت مقـام يوحنـا المعمـدان ، ومقـام الـرأس الطـاهر الشـريف للشـريف الحسـين بـن علـي وتـذكرت مـا قالـه المهاتمـا غانـدي عنـه حـين قـال : (تعلمـت مـن الحسـين ، كيـف أكـون مظلومـا فأنتصـر)، ومـرت بالحـارة التـي تأكـل مـن الطريـق أغلـب أجزائـه لكـأن البيـوت فـي دمشـق مـن شـدة الحـب تـأبى أن يفـرق حيطانهـا الطريـق فتضـيق عليـه لتبلغـه أن الجـار يحضـن الجـار وكيـف لا وحـائط مشـترك بـين كنيسـة وجـامع وبـين قلـب مسـلم تجسـد بصـابر وآخـر مسـيحي تجسـد بتلـك التـي لا تـدري، لا بـد لمـن يـزور دمشـق أن يجـد جـزء منـه ومـن مقدسـاته وأصـالته فيهـا، خيـر مـا يقـال عـن مشـاعرها ، بأنهـا لا تـدري مـن أين تتدفق كل تلك الفيوض الشعرية والشعورية؟

أهي من الحجارة! أم من الحب الأول ؟ من المآذن أم الكنائس ؟

فـي دمشـق أرشـيف الله علـى الأرض بكـل اللغـات وأعظـم الـديانات يولـد الإنسـان مكلـلا بالحـب والسـلام، ففيهـا لا تعـرف إلا أن تجـد

مشـــتركا كبيـــرا مـــن قواســـم المحبـــة والســـلام ليكـــون دينـــك الـــذي تمارسه الإنسانية .

وأخيـرا فاجأهـا ببيـت عربـي كبيـر وقريـب مـن سـاحة بـاب القـديس تومـا ، دخلـت تتلفـت حولهـا وكـأن الأحـلام تلامسـها فـي سـن طفـولي يجعلهـا تتعجـب مـن رؤيـة القمـر فتمـد يـديها لتلتقطـه، حضنته وانهالت بالقبل على شفتيه.

بيـت الياسـمين بسـاحته وبحيرتـه المائيـة وجدرانـه وشـجرة الليمـون وسـط الـدار وكـأن اللغـة الغالبـة هنـا حـديث الأحجـار عـن تـاريخ حافـل مـن ألاف السـنين مـن مئـات ألـوف الـزوار، مـن يـدري ربمـا سـكنه القـديس تومـا فعـلا ، أو أحـد القـادة العـرب أو أحـد الجنـرالات الفرنسـيين زمـن الاحـتلال ، فدمشـق كتـاب تتنـاثر التـواريخ فيـه علـى الأحجـار والأرصـفة والمـآذن وحتـى الفسيفسـاءالمزخرفة، وودعهـا علـى أن يلتقيـا غـدا لتبـدأ كتابـه الحكايـة، فـي ليلـة لـم تـنم عيونهـا ولا هـدأت روحهـا ، فراحـت تنظـر للسـماء وتسـتعجل قـدوم الصباح .

تذكرة عبور

(ربما تقطع الخراف ساقية الماء سباحة، ولكن طاقة واحد منها تمد السمكة الواحدة لتبقى تسبح شهرا)

في الليل المحموم بذكرياتها والمحبوس بوحدتها ومحرمات القبيلة التي تمنعها من النوم على صدر حبيبها، جاءها اتصال من دبي من رئيس المجلة يسأل عن أولى حلقات العمل الذي يعتزم نشره بالمجلة، فأجابته بأنها لم تكتب شيئا بعد ، وهو ما جعل ضيقه يصل لحد أن يسألها: شهرين ولم تكتبي فما القصة؟ أغلق السماعة بانزعاج شديد .

ولكنها لم تحتمل تصرفه الخشن هذا ربما لأنها المرة الأولى التي يتصرف بها هكذا على الأقل معها ، فرفعت السماعة وقدمت استقالتها بتصرف لم يكن يتوقعه أحد، فمن مدة ليست بالقصيرة وتصرفاتها تشذ عن العادة لدرجة أن أقرب الناس منها لم يعد يستطيع التنبؤ بتصرفاتها، ربما كانت فرصتها الأجدى التي لطالما حلمت بها بالمغامرة وبنفض غبار العادة والروتين عن كاهلها، وقد أخبرها أنه لن يستطيع لقاءها ، فطلبت منه أن يساعدها بكتابه تقرير عنه ، تحلم بتحويله لرواية، لكنها بعد اتصال رئيس الجريدة ، تذكرت البيت والأولاد والزوج والحلم الذي تتمنى أن ينجح معها بتحويل قصة صابر لرواية تذكرها الأجيال القادمة لتكون تذكرة عبور من الصحافة للكتابة ومن الغياب المضني للحبيب لذكرى تعيش معها طيلة أيام حياتها ومن ألم لأمل ومن زواج عاشته بلا رغبة لحب قد لا تمارسه كزوجة أو حتى عشيقة لكنها لن تتراجع عن

حبه مدى الحياة، نعم لقد فكرت بالخلاص من كونها أنثى تحكم بالعيب والحرام من صغرها وحتى موتها فكرت بعبور البوابة السحرية التي ستنقلها من عيش ما أراده الآخرون لتعيش ما خلقت لأجله، إنها الفرصة التي لطالما حلمت بها ولن تتنازل عنها ، سألت نفسها : آه إلى متى ستبقى المرأة بصورة المستضعف أو الهيولي البدائي كما صورها أرسطو لصالح الصورة المتطورة التي يمثلها الرجل، ترى هل سيستمر خداع الرجال عن المساواة المزورة على الورق والرقة التي لا تظهر إلا في الفراش!إلى متى سيبقيهن الحب (النساء) حمقاوات؟ يصدقن أكاذيب الرجال!

بداية المشوار

(لكي يصبح الحب رواية تتكلم بدل أن نرويها، لابد من أن نغامر بعيشه وتجربته)

هاتفته مساءً وبعد الكلام الحار الجميل عادت تحدثه عن فكرة الرواية ، لكنه وعدها بالعمل معها لتحويل الأمنية لحقيقة، وسألته : عن سبب طول وقت غيابه في بيروت ؟ وبغنج دمشقي جميل ، قالت له حبيبي إن لم تأت قريبا سأعود لدبي ، فوعدها خيرا

بصباح اليوم التالي :

لم يخف ولعه بالفكرة واستحسانه لها ، فتحت السكايب ،وبدأت بعد السلام وبجدية ومباشرة وتلقائية في طرح الأسئلة:

ما الذي حصل بك بعد الغزو العراقي ؟ هل بقيت بحارتك البغدادية أم ماذا؟

عندما تعرض العراق للغزو الأمريكي ، تفشت طائفية الطاعون وانطلقت أيدي الخراب والنهب والاغتصاب وكأن التاريخ يعيد الكرة ، فالقارة الهندية الأمريكية ، لم تكن قارة أميركية بسكانها بل تبنى المهاجرون الأوربيون سياسة الإبادة الجماعية ، فقتلوا السكان الأصليين وسرقوا الثروات والأراضي ليتحولوا من ضيوف مؤقتين لمستوطنين مغتصبين .

ما سبق لم يكن وحده سبب قيامي بتنشيط لجان المقاومة الوطنية!

ليلة سقط العرب ببغداد ، بكيت بحسرة وبخوف من المجهول .

في ذلك اليوم بدأ الموساد بأنشط حملة عبر تاريخه ، إذ أطلقوا سراح المجرمين من السجون وقتلوا الوطنين وداهموا المكتبات وسرقوا آلاف الآثار وقتلوا العلماء وكأنها مكتبة دار الحكمة يلقيها مغول جدد في بحر من خيانات بالجملة.

يكفي أن تفتحي التلفاز لتشاهدي القنوات العربية بغالبها تصور سقوط الصورايخ على بغداد وكأنه تحرير لفلسطين .

لم تكن بعد القدرة على تشكيل المقاومة موجودة ، بالرغم من الشعور القومي العالي لدى الغالبية العظمى من شعب العراق العظيم.

ولكن وعذرا منك ! قالت :(تلك التي اسمها لا أدري) أعرف تعلقك الشديد ببغداد فكيف رحلت عن دارك وحارتك وعشقك بغداد؟

كل واحد منا يمر بأشياء تطبع شخصيته وتحددها في قادم الأيام لحد بعيد ، و لربما كانت حادثة تهجيري وعائلتي إحدى الأشياء التي تركت بصماتها طويلا بحياتي ، لا أقدر أن أصف لك ذلك اليوم الأسود.

فبعد عدة مؤشرات وأحداث اضطرتنا ظروف الحرب الأهلية التي يلوح شبحها في الأفق على أن نحرص ونهتم بأمننا بشكل مشدد بالرغم من انتمائي العائلي للطائفتين السنية من جهة أبي والشيعية من جهة أمي إلا أن الحاصل كان أكبر مما نعتقد فالطائفة هي الشكل والقتل هو المضمون ، كل وطني لن يشعر

بعد الاحتلال بالأمان لأنه مهدد بالقتل من أبناء وطنه ومن طائفته نفسها ، غادرنا منزلنا ونزفنا دمعا على جنبات حارتنا العريقة ، هذين ! أقصد البيت والحارة بما يعني الأول من سكنى ووداعة وبما يعني الثاني من جيرة طيبة, أصبحنا لا نعتبر اليوم يوما دون أن نجتمع سويا ... الورود والأشجار والبيوت وحتى الطرقات العشوائية وكأنها أسراب من سمك مختلف الألوان ، تزيد البحر زينة باختلافها في اللون واشتراكها في الحياة ، كنا وجيراننا نصبغ الحارة بلون التسامح والعيش الموحد منذ ألاف السنين ونحن أبا عن جد أمة واحدة .....

فما الذي حصل؟ إنه الشيطان الأمريكي بوجه سلفي وهابي بغيض (قاطعته) أنا آسفة لكن احترنا فالكل بالحارة وطني ويحب أولاد حارته وما عرف عن واحد فينا أنه ميز بين أبناء وطنه بسبب انتماء طائفي لأننا نعيش هذا القدر منذ ألف وأربعمائة سنة ..فما الجديد؟ إل (نا) تدل على وحدة المشاعر العربية من المغرب العربي للخليج شرقاً المحتل أمريكياً بصيغ مختلفة

الجديد يا سيدتي الفتنة التي أشعلتها الوهابية السياسية لتطمس دين محمد والمسيح وتابع مسترسلا الحديث عن بيته.

بيتنا أضحى كفرد من أفراد الأسرة لم نفرط بسهولة به لكننا كنا أمام خيار صعب بينه وبين سلامتنا فاخترنا مكرهين السلامة ، فرطنا مستسلمين بعد ما باع غباء ساستنا وشيوخ الدجل والوهابية السياسية وقطيع الخونة العراق ، جل ما أفقده حين

أذكـــر بيتنـــا ، جيرانــــي ، هـــذا الكـــردي الطيـــب وذاك الموصـــلي المرتـب والثالـث بغـدادي رائـع وتشـكيله مـن كـل العـراق عاشـت سنين متحابـة وسـتعود الإلفـة والمحبـة عنـدما يقـف الإرهـاب ويعـود العـراق ، اذكـر الطريـق الجبلـي الضـيق والبيـوت المسـتندة علـى كتفيـه وكأنهـا تريـد ابتلاعـه لتزيـد مـن مسـاحتها فتـرمم جـزءا يسـيرا مـن جشـع سـاكنيها، تفاصـيل الحـارة ووجـوه الأطفـال الشـاكية مـن ألـم الفـراق ومشـاعر الخـوف فـي لحـظ العيـون الأنثويـة الجميلـة ، الدكاكين والعطارين و الحلاقين ، آه يا عراق !

حتـى أعمـدة الإنـارة التـي تسـتقيل فـي الـدول العربيـة عـن الإضـاءة بعـد يـومين مـن عملهـا لتبقـى منظـرا شـاحبا يريـك أن الحضـارة وصـلت ولكنهـا بـلا مغـزى والمؤسـف حقـا أن أسـوأ مـن فـي الحـارة حمـل السـلاح لـيس لمواجهـة المحتـل بـل ليصـفي حسـاباته مـع أبنـاء الـوطن وليكـون خنجـرا مسـموما صـهيونيا سـلفيا أمريكيـا فـي قلـب الأمـة لا خاصـرتها ، كـلاب مسـعورة دينهـا المـال اتخـذت مـن الطائفـة عنوانـا للقتـل لتجعـل الـوطن جريحـا وتشـرد أهلـه وتحـولهم للاجئـين وصـارت أرضـهم مليئـة بخبائـث البشـر والسـلاح ، لكـن محـال أن تسـقط العروبـة المحقـة مـن قلـوب العـرب الشـاميين والعـراقيين ، وهكـذا كانـت الطعنـة الأولـى التـي أصـابت ملايـين العـراقيين والعـرب حـافزا لاختـراع الـدواء الأنجـع للعـودة إلـى حضـن الكرامـة والإبـاء والعـزة حضـن العروبـة، نعم كانـت المقاومة زورق النجاة.

المقاومة كنز العرب وكرامتهم

(لا أكره الموت ولكن أحب الحياة)

عـادت ترنوللقائـه، وتسـأل الله أن يرجـع بسـرعة مـن بيـروت ،لأنـه لـو تـأخر أكثـر فلـن تتـردد وسـتلحق بـه, لكنـه عـاد واتصـل بهـا وطمأنهـا لقـرب قدومـه ، ممـا جعلهـا تـزداد صـبرا فمجـرد أن تشـعر باهتمامه يكفيها .

أغلقـت الهـاتف وعـادت للسـكايب لتكمـل الحـوار الـذي بدأتـه معـه قبل مرة وسألته ؟ أين ذهبت بعد تهجيرك من حيك في بغداد؟

كانـــت الحـــدود كلهـــا مغلقـــة بوجـــه العـــراقيين ، إلا أن الـــدول العربية،اتخـذت قـراراً مشـرفاً دافعـت فيـه برجولـة عـن العـراق وفتحـت الحـدود واسـتقبلت العـراقيين، كمـا فعلـت سـورية سـابقا مـع اللبنـانيين والفلسـطينيين، وقـد امـتلأت روحـي آمـالاً حلـوة بـأن العـرب وسيشـكلون دعمـاً حقيقيـاً لنـا، ولـن يكتفـوا بالشـعارات والتصـريحات التـي لا تغنـي ولا تسـمن مـن جـوع ، وقـد تفاجـأت فالشـعب العربـي كلـه حـانق وغاضـب لسـقوط العـراق ويتمنـى فـتح البـاب للمقاومـة، ولكـن لـيس لـه صـوت ، و العـراق سـقط كمـا سـقط مليـون فلسـطيني فـي أيلـول الأسـود وضـاع غـور الأردن واحتلـت القـدس الشـرقية بـلا صـوت اعتراض،عـدت للموصـل فـالظروف كانــت ناضــجة تمامــا لــدى الشــعب العراقــي بمختلــف أطيافــه ، لتشـكيل فصـائل مقاومـة، وفـي ليلـة مـن ليـالي الموصـل الشـتوية، وجـدت مـن يجمـع الوجهـاء للقـاء سـري وكنـت مـن بـين المـدعوين، وضــعنا بسـيارة جيـب ومــن ثـم توجهنـا لمنطقــة بعيـدة خــارج الموصـل ، وسـألونا عـن رأينـا بـالموقع الـذي تتـدرب فيـه المقاومـة

العربيـة الإسـلامية، لقـد دهشـنا مـن جمـال الإرادة العربيـة التـي إذا أرادت فعلــت ، وبالفعــل تعهــدنا بالــدماء أن نعمــل ســويا لتحريــر العــراق ولحمايــة مقدســاته مــن المســاجد والحســينيات و الكنــائس وبـدأنا نـدرب أبنـاء العشـائر والمتطـوعين العـرب الأشـراف الـذين تركـوا حيـاة الخنـوع لـدحر المسـتعمر ،وبـدأنا نعلمهـم علـى تكتيكـات الدفاع والهجوم والحماية واستخدام السلاح الخفيف المتوفر .

المفـاجئ فـي الأمـر أن المقـاومين كـانوا عقائـديا منقسـمين لقسـمين بارزين :

الأول يســتدعي الشــيخ والحكــم الشــرعي فــي كــل قضــية ويغلــب علــى متبعيــه الجنســيات الخليجيــة و الأردنيــة والباكســتانية ويغلــب علــيهم شــدة المــراس والجهــل بالتكنولوجيــا، لأنهــم كمــا يقولــون عنهـا بدعـة والعلـم والعقـل عنـدهم لا يسـاوي بركـة واحـده مـن شـيخ ملتحــي وهــم الأكثــر أمــوالا وعتــادا وغموضــا بــنفس الوقــت، وهــؤلاء ضــلوا ولــم يكونــوا علــى ثقافــة دينيــة أصــيلة...وهم وإن كانـت جنسـياتهم مـن تلـك الـدول ، فـإنهم دون أدنـى شـك لا يعبـرون عــن كــرم وأخــلاق وســماحة الشــعوب العربيــة الإســلامية لتلــك الدول.

أمــا الثــاني:فجلهم مــن الشــاميين الســوريين واللبنــانيين والعــراقيين وجــزء صــغير مــن الأردنيــين ويغلــب علــيهم الطبــاع المدنيــة والحيــاة البســيطة وهــم بالغالــب متعلمــون ويؤمنــون بــأن الهــدف توحيــد العــراق وحمايــة أهلــه جميعــا ودافعهــم الشــعور القــومي العربــي وهــم يطلبــون الســلام للعــراق وخلاصــه مــن الاحــتلال ،

انتهى حوار الليلة فقد انقطع الاتصال ولعل ما عرفته اليوم يحتاج لسهر من التمحيص والتحليل.

هؤلاء هم من يدعمون الفكر القومي العربي ، ولكنهم في الوقت ذاته سقطوا ضحية الفساد فأصبحوا إما صامتين عن فساد القوميين المالي و الإداري أو داعمين له ، مما جعل المجتمع كله رهينة الفساد الرهيب في حاضره ومستقبله .

عراق الأمة بين الردة الوهابية والقيم العربية الإسلامية [1]المحمدية

(ليس هناك شيء أجمل من الحريةوالسيادة، ولكن أؤمن أن للاستعمار دورا لابد أن يلعبه)

تابعت السهرة وهي تفكر بكلام صابر عن تضارب مكونات المقاومة فكريا وعقائديا، ولكنها وأخيراً استسلمت للنوم في السادسة صباحا كالعادة ، ولن تعود الحياة لدورتها إلا عندما تستيقظ في الخامسة عصرا ، فاعتبارا من منتصف الليل لديها ضيف افتراضي على السكايب، فالعصر عندها هو الصباح والحياة عندها ياسمين تسري روحها في قدسية العمل، وبعدما تعطرت بصبح الياسمين وقهوة دمشق العربية ، وبعد لحظات قدمت لها الجارات البوظة العربية ، كل شيء في هذه البلاد عربي البوظة القهوة الرجال والحيطان والنساء والكنائس والمآذن والأسواق، لكأنك في زمن الراشدين .

انتظرت بفارغ الصبر قدوم الليل ، فما قاله صابر أثار فضولها لدرجة أنها لم تكتب ما قاله في روايتها ، لم تزل تفكر وتحلل ما قاله، هي لم تعتد أن تكتفي بتقدم ما يروى فقط بل بالبناء والتحليل للمستقبل على أساس ما لديها من معطيات ولربما كان هذا سر نجاحها في السنوات الماضية.

هاهو منتصف الليل يعود وكأنه بالنسبة لهما، إشراق جديد ياللعجب ،حتى بعد سنين من فراقهما لازال القدر يؤمن علاقتهما من الخروج للعلن، فتحت السكايب وبدأت بسلام

[1]الحاجة لتأكيد العطف بالواو بين العرب و دينهم الإسلام تسقط لكون الشخصية الواحدة المتحدة لا يمكن أن تجزأ ولا يحتاج توحدها لبراهين .

مختصــر ، فلطالمـــا ســكنها حـــب النجـــاح والعمــل، ولطالمـــا أحـــب صـــابر أن يتشـــارك ذكرياتـــه معهـــا وأن ينقــل قصـــته مـــن الخفـــاء والظلام للأبدية النورانية .. سألته ؟ ما اسم المعسكر الأول؟

أجابها : لم يكن هناك معسكرين في البداية على الأقل شكلا !

مـا الـذي تـود قولـه!كان الجميـع يـدعي أو يتسـتر بمشـروعية الـدفاع عن الاستقلال وحق تقرير المصير ومقاومة المحتل.

ولكن في الخفاء أشياء ونظريات أخرى سأرويها في حينها!

المهـم وبعـدما ذهبنـا لتـدريب المتطـوعين مـن العـرب والمسـلمين علـى اسـتخدام السـلاح ، كنـا نصـعق كـل يـوم بالمفاجـآت، فكثيـرون مـنهم كـانوا يعلموننـا بـدل أن نعلمهـم اسـتخدام السـلاح وكثيـرون مـنهم مطـاعون أكثـر منـا ، بـل إن أحـد الأفغـان شـيخ طبيـب وحاصل على شهادته من إحدى الجامعات الأوربية .

وأكثـر مشـكلة واجهتنـا كمـدربين ، كانـت الكيفيـة التـي نحـاول مـن خلالهـا دمـج العناصـر الـلا متناسـقة للمقاومـة العراقيـة ؟عـدا عـن كـون النفسـية العراقيـة المضـطربة والتـي لـم تهـدأ مـن عشـرات السـنين بسـبب حـروب الغبـي والطـائفي والجـزار السـابق والـذي تبـاهى بحبـه للقتـل كوسـيلة للحكـم ، (إن الرجـل العشـائري بـالمعنى الطـائفي لا يمكـن أن يحكـم إلا قطعـان الماشـية ولـو انتخبـت هـذه القطعان لرفضت حتى أن يشاركها علفها).

هـذا عـدا عـن التـداخل العرقـي بـين تركمـان وعـرب وكـرد ناهيـك عـن التنـوع الطـائفي الرهيـب والمخيـف فـي ظـل وجـود مسـتعمر ،

لـن يتـورع عـن بـث نـار الفتنـة والمذهبيـة اللعينـة بـين أبنـاء الشـعب الواحد.

الهـم الأكبـر كـان بالنسـبة لنـا كقـوميين عـرب الحفـاظ علـى وحـدة العـراق وبالدرجــة الثانيــة التحريــر ، فخطــر العــدوى إذا مــا قســم العراق قد ينتشر للدول المجاورة.

وبعد فتـرة وللشـعبية الكبيـرة التـي حققتهـا بـين الطـرفين ، بـدأ اسـمي يلمـع كـنجم محتمـل لقيـادة المقاومـة قريبـا ، قاطعتـه تلـك التـي اسـمها لا أدري، ولكن كيف جمعت الفريقين ؟

فقـال لـم أتنـازل يومـا عـن اعتـزازي بعروبتـي وإسـلامي، فشـعائري الدينيــة وحفــاظي عليهــا أكســبني محبــي التقيــيم للنــاس بــين الجنــة والنــار، وحبــي لعروبتــي ودفــاعي عــن كــل الــدول العربيــة وبــنفس المحبـــة والحميـــة ،جعـــل القوميـــون يتـــوددون لـــي ، وبفتـــرة مـــن الفتــرات وبعــد النجاحــات الجزئيــة التــي حققتهــا المقاومــة، بــدأت موجــات التحــريض مــن الوهابيــة السياســية التــي تحمــل ســلاح الفرقـة ضـد العروبـة التـي تحمـل سـيف الوحـدة العربيـة بمضـامين الخير والمحبة والسلام التي رسخها الإسلام الذي نعرفه .

فـــي البدايـــة ، كنـــا نســـتوعب الجماعـــات الســـلفية بالـــدعوة لقهـــر المحتـل وإخراجـه مـن العـراق، وكـم كنـا نخشـى انسـحاب المحتـل، لأننــا نعــرف أن انســحابه يعنــي اقتتــالا دمويــا بيننــا وبــين ســارقي الأصـالة والقـيم، نعـم صـحيح أنـه لاشـي يـوازي العقلانيـة بـالمردود الجيــد ولكــن ولســخرية التــاريخ يصــادف أن يكــون للغبــاء ممــثلا بالاحتلال دورا ايجابيا بمكان مافي تاريخ الشعوب .

هـل تعنـي أن الاحـتلال إيجـابي؟ لـم يكـن الاحـتلال يومـاً إيجابيـاً ، ولكـن لا بـأس ببقائـه عـام أو عـامين زيـادة ، لأن النتيجـة الحتميـة رحيلـه، أمـا المتخفـون بالنفـاق وتسـيس الـدين والأفـاقون والـذين يسببون خلطـا بسـبب الجهالـة بحقيقـة الـدين وعلاقتـه بالحيـاة إضـافة لحاجـة النـاس للإيمـان وبـدون وعـي ولا فقـه ولاعلميـوقعهم كفريسـة سـهلة فـي شـراك الإرهـاب والـدعوات التحريضـية والسرطان الطائفي.

ومـن ناحيـة أخـرى قـد يغـذي الاسـتعمار النزعـات الإرهابيـة ، ولكـن مصـالحه بمنطقتنـا الغنيـة بـالنفط ، وقابليـة المنطقـة للاشـتعال السـريع ، قـد يهـدد مصـالح الطاغيـة الأورو أمريكـي ممـا يجعلهـم ، يفضلون التعامل معه بحذر مطلق.

معسكر واحد

في لباسين متناقضين

(لا يمكن للذئب أن يتحول حملا ، لمجرد أنه رضع ألبان النعاج، فطبيعة مورثاته أقوى)

بالرغم من أننا كقوميين قررنا أن نتحمل المرارة برحابة صدر، وأن نوجه الوهابية[2] لتكون وسطا ،لا معنا ولا علينا ، وبشتى الطرق وبكل الإمكانات ولكن تبين بعد حين أنهم بعثوا لينوبوا عن المحتل بقتل العراقيين ونشر الذعر بينهم وتقسيم الشعب الواحد والعراق الواحد لشعوب و لدول طائفية، وفشلنا بترويض ذئاب الصحراء.

قالت تلك التي اسمها لا أدري :لكن كيف تواصلت معهم ؟ وما الذي جعلكم تتصورون أنهم العدو القادم ؟

سيدتي بليلة من ليلات الصيف الجميل ، دخل أحدهم الخيمة ورآني أقرأ القرءان وبعد ما كان يخفي يديه خلف ظهره ، خرج وقد امتلأ استغرابا من جهته ومن جهتي امتلأت رعبا وعرفت بمكيدة تدبر من جماعة النفاق البربري الأمريكي تحاك لقتلي ، تمالكت أعصابي وتظاهرت باليوم التالي وكأن شيئا لم يكن - ولحسن حظي - التقيت بصديق جزائري وأخبرته بما حصل معي فطلب مني أن استعد لدخول جماعتهم وشرح لي بخبرته التي اكتسبها حين كان يعمل محققا في أثناء الحرب الجزائرية على الإرهاب، أساليب البغي و الغدر التي استخدمها

---

[2] **الوهابية السياسية : حركة الردة الثالثة بعد الحركة العثمانية ,والخوارج في عهد الإمام علي ، لكونهم اشتركوا جميعا بهدف سياسي بحت ، هوإطفاء جذوة الإسلام ، لتكون لهم العروش بدون الضوابط شرعية التي ينص عليها الإسلام بمحكم التنزيل في القرءان الكريم.**

الهمج الرعاع في قتل المدنين والعسكريين الجزائريين، ونصحني بأن لا أغادر الخيمة ليلا وأن أتهيأ لمحاولات لضمي إليهم ، وبالفعل وبعد عدة أيام وقد أكل الخوف مني شجاعة الموقف، فلا القتال معهم بهذا التوقيت مناسب ولا النوم في بيت العقرب ممكن ، وجاء أثناء الراحة بعد التدريب أحدهم وسألني عن رأيي بالشيخ الأفغاني ولحسن تربية والدي لي ولإيماني بخبرة صديقي المحقق الجزائري ، قلت له أنعم وأكرم ماشاء الله نوره بوجهه ، وبدأ الرعاع يتوافدون علي ويتحدثون أمامي عن مكرمات الشيخ وفضائله وقتال الملائكة ،إلى جانبه، وخرافات لا تملك حتى حق التفكير بها ، فتداركت الجنون الكاسح والهبل والتخلف والجهل والبربرية الممولة من العناصر المتشددة وركبت موجة انتحار العقل وموت العروبة و مؤامرة التخطيط لإسقاط الدول الوطنية ، ولم تمضي مدة الشهر ، حتى جاءت سيارة سوداء كعقول الرعاع في آخر الليل وطلب مني مرافقة من فيها, وبعدما وضعوا عصابة على العينيين، تم اقتيادي بمهارة لبيت الشيخ الذي تحارب الملائكة معه بحسب زعمهم.

قاطعته ، ما اسم ذلك الشيخ ؟ كيف استقبلك ماذا طلب منك ؟ ما أهدافه ؟

ارتشف قهوته وأكمل ما بدأه ، كان اسمه الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم ، و اسمه الحركي أو شهرته ب (حرب) لهي أشد قرباً لطبع الدول الاستعمارية وسياستها في شن الحروب، وزرع الإرهاب ، وإلصاق التهمة بديننا

الحنيف،بيته الذي يشبه وكر الثعلب وطبعا لم نصل إليه إلا بعد ألف تفتيش ومائة ألف بركة من شيوخ الطريقة ، في غابة ما بالموصل على ما اعتقدت وقتها وتبين أني دخلت بلدا أخر حليفا للناتو وداعم للإرهابيين، المهم وكأني أدخل مغارة علي بابا ، أول وكره درج وعلى كل درجة لوح مكتوب عليها أية من القرءان الكريم، أو حديث شريف لنبي الرحمة ..دخلنا قاعة الضحايا أقصد ما يسمونه دارة الضيوف فحنوا أيدينا ورشونا بعطر الجنة وبركة المشايخ السلفية ولم يكن ينقصنا إلا حمام على أيدي نساء الطريقة وبعد عدة دقائق دخل الملقب بالشيخ بلحيته التي لم تعرف مقصا ولا غسيلا على ما أعتقد منذ عشر سنوات ووجهه الملفوف بخضاب هذه القذارة من الشعر ولا أعرف إن كانت ذقنه مخضبة بدماء ضحاياه أم أن الدم تحول لغة في شكله ومضامينهوشاربه المقصوص وفمه يبدو وكأنه كهف أجرد مافوقه منتوف يجعلك تتخيل قردا شوه وجهه فنتف الشارب وأبقى ذقنا لا مبرر لوجوده لكأنه فزاعة بشرية المظهر شيطانية المضمون، لك أن تتصور وجها شنبه مقصوص وشعر ذقنه طويل جدا والسؤال :ماهذا التشويه ؟ ومن أين أتيتم بأشكال كالجراد الصحراوي! وكل ما يفعلونه ينسبونه للإسلام ولنبي الرحمة وشخصيا لا أظن أن عاقلا يصدق أبناء العشيرة في أمور مقدسة كالدين، انظروا . لقد حول الجراد الأعرابي الدين السمح لمجرد ذقن ملعونة وشنبٍ أنثوية منتوفة .. جلس الملقب بالشيخ زيفاً وبهتاناً ، و الذي يتبرأ منه علماؤنا الأفاضل وديننا الحنيف، على حصيرته المهترئة البالية إشارة لتواضعه ويداه مملوءتان بالخواتم الفضية ونظراته البرية البربرية تكاد

تأكلني،وأمامه قرءان وخلفه علم مؤامرة وهابية وعثمانية وصهيونية بمسمى إمارة إسلامية وفوق رأسه ، آية شريفة ، بسم الله الرحمن الرحيم (واتبعوا السلم كافة)وعلى يمين العبارة الشريفة بندقية وفوقها خنجر ملعون ويكفيك الترتيب لتركب صورة عن الإسلام على أنه بالشكل العثماني تاريخيا والوهابي حاليا والسياسي أمريكيا ، لتعرف نفسية وثقافة وعقول الصهاينة الجدد.

مد يده القذرة فقبلناها ، وفمه مشغولبالتمتمة ومخالبه على رأسي، وبدأ الجميع يقبل رأسي بعدما رفع يده لأني أصبحت مبارك ، وخوفي المشحون بالغضب كاد يفضحني ولخبرتي بتاريخ الاحتلال العثماني، ناورت قائلا : سيدي حبذا لو أنكحتني أمة، تبسم فمه وذلك لكون التاريخ يشي بأن من يمكن شراؤه بامرأة أو مال ، فهو ثقة ورجل لا طموح لديه بسلطة، وتباركه الطريقة العثمانية في تزوير الإسلام بطريقة تهم السياسة وتخدم مصالحها الدونية ، وقدموا عشاء زاهداً كما يدعون ، ويبدو أنه عشاء زاهد من كل حلال فهو من سرقات يسمونها غنائم كالحقبة مرت الساعات الأولى من الليل ، فوجهه البغيض قتل شهيتي لكل لذيذ ومستطاب .

ومع تهربي من النظر له، أحس بنظراتي الكارهة لوجوده ، فغادرت وجه الصباح على أن استلم تعاليمه من شيخ أفغاني، وكأن القرءان نزل باللغة الأفغانية ، جردنا جراد العثمانية

وخلفاؤه الواهبين للشيطان[3] أنفسهم وأولادهم من ما منحنا الله، وكلنا يعرف أن العروبة قلب الإسلام ، فأي إسلام بلا عربية يعني غوغاء ، فهي البيان والتبيين بشهادة الشياطين وحلفائهم، دخلت المخيم وما كنت على دراية بما في الوكر ، إذ لم أكن أدري أخجل غزال أم احتيال ثعلب! ففي وجه هذا الشيخ لا تعرفليل رفضه ونكرانه من صبح عرفانه وإيمانه، لقد قطع أشواطا طويلة بأطوار النفاق لدرجة أنك لا تميز ابتسامته من تكشيرة أسنانه، وصوت تسير فيه الحبال الصوتية كأفعى، لكن لنتفق على المعلومة التالية:

فالإنسان لا يمكن التنبؤ بمضامين تصرفاته لأن ما يقصده شخص ما بموقف معين ، إنما يعود لثقافته الاجتماعية وميوله الشخصية واتجاهه العام،فالرقص قد يجلب المطر عند رجال القبائل البدائية في حين أنه يجلب الأنثى ويغويها عند الشعوب الأخرى، فالله سبحانه وتعالى جعل تمييز الحيوانات أسهل ، فكل البشر يعرفون الفارق مابين الذئب والنمر وإن كانوا لا يعرفون أسماءهم، بينما قد لا يكون لفعل من الأفعال الهدف ذاته بين شقيقين من بني البشر ، ربما يأكل الأول عندما يشعر بالحزن والثاني عندما يشعر بالفرح وكثر هم من لا يقومون بعمل إلا لغاية خاصة يحققونها في إطار عام مقبول اجتماعيا، لربما أخذ أحدهم من مبدأ الشرف ذريعة لقتل أخته ليحصل على ميراثها أو ليقال عنه ((رجل)) في أوساطه الاجتماعية ومما يروى عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه كان يقاتل رجلا

[3]يعتقد الكاتب بأن الوهابي كل شخص يهب نفسه و أولاده وأفكاره وما يملك لقضية اللا قضية التي تخدم الشيطان وأعوانه ، ويسعى لنسف القوانين وسيادة الفوضى من أجل حفنة دراهم وآيات شيطانية من تاريخ العثمانية وسيادة لاستكبار الصهيونية وأنها النسخة المعدلة للماسونية في المنطقة العربية.

فلما غلب الرجل وتهيأ ليقتله بصق الرجل بوجهه الشريف، فتراجع الإمام ورمى سيفه من يده الشريفة ولم يقتله، تعجب الأعرابي وسأل الإمام عن تركه السيف وتراجعه عن قتله ، فأجاب الإمام : كنت أقاتلك لإعلاء كلمة الله , فلما بصقت بوجهي خشيت أن أقتلك انتقاما لنفسي فأسلم الرجل متأثرا بأخلاق الإيمان التي تجلت في أخلاق أمير المؤمنين ،ومن هنا كانت الطامة الكبرى ،فمن غير الممكن أن نتصور ولو للحظة أن يستغل هؤلاء القرءان الكريم أو التعاليم الدينية ليقاتلوا الحياة بكل أشكالها ، فمن غير الممكن اتهام من يمارس عقيدته ،أيا تكن بالعدو أو الشرير مادامت بسماحة الإسلام وتعاليمه، بيد أن تصرفاتهم نقيض ما تعلمناه في إسلامنا وقرأننا الكريم ، والمشكلة أن مخدر النار والفقه والشريعة بأيديهم بات حصارا أو مشنقة تهدد رقاب المخالفين،بعد أن كانت ضوابطاً أخلاقية تردع المسيء وتكافئ المثيب، وانقسمت على ذاتي وتهت علي أجد جوابا لألغاز هذه الجماعة التي تبدو مختلفة عن المقاومة رغم تحالفها معنا ،وفي ليلة جميلة قمرها بدر ساطع ، سمعت جورج يقرأ من الإنجيل عبارة ما فارقتني يوما:(كيف يستطيع الشيطان أن يطرد الشيطان ،فإذا انقسمت المملكة على نفسها فلا تستطيع المملكة أن تثبت،وإذا انقسم البيت على نفسه فلا يستطيع ذلك البيت أن يثبت ، وإذا ثار الشيطان على نفسه فانقسم فلا يستطيع أن يثبت ، بل ينتهي أمره).

ولم تكن التدريبات العسكرية ،إلا شيء بسيط مهما طورناها بالقياس إلى قدرات الملتحين أو المتدينين كما ظنناهم بالبداية، وبالسؤال المتكرر شرحوا لنا عن تدريبات تلقوها من الحلف

الأطلسي الناتو في أميركا وبعض حلفاء الناتو لمواجهة الاحتلال السوفياتي لأفغانستان ، ولم يكن المراقب للأوضاع بحاجة ليرى الخلاف الكبير بين عناصر المقاومة العراقية و الفارق كبير ما بين خلاف و اختلاف ، فالخلاف يعني إبراز عوامل التوتر و الصراع ، أما الاختلاف فهو يشبه نكهات التوابل التي تزيد الطعام لذةً.

على أن هذا الخلاف بدأ يتعمق شيئا فشيئا مع تتالي انتصارات المقاومة ، فطريقة بقر البطون وقطع الرؤوس والانتقام الجماعي من المحتلين ، كانت بالبداية مثار خلاف تم التغاضي عنه لمصلحة الأمة ، ومع تقدم العمليات الوطنية الشجاعة للمقاومة ، اتسع الخلاف وظهر بشكل مفزع ، فهم (الملتحون) يحكمون كما يريد الملقب بالشيخ زيفاً ومع ذلك قبلنا لأن التفاهم معه على الرغم من صعوبته أسهل من القبول بدنس الاحتلال ، وبدأ الشيخ الوهابي يفرخ شيوخا والفتوى فتاوى والوطن أوطان، وأما المقاومون القوميون بدؤوا الخوف على مشروعهم من تنامي دور الملتحين الهدام والمفتت للوطن الواحد.

هوية ملتبسة

(إرهاب القتل ليس من ديننا ولا من تراث نبينا)

استرسل بخطابه ، وقد تقدم الوقت فاعتذرت إليه ليرجئ كلامنا حتى قدومه من بيروت إلى دمشق ،وكم تمنت لو يقفل راجعا ويكف عن الهروب ، ولم تسمع في يومها التالي صباحا إلا بالباب يفتح ، توقعت كل شيء إلا أن تراه ، ولما رمقتها عيناه بعطش ومجون ، تناحرت دموعها مع كبريائها وضمته إليها وبكت بشدة وترت أجواء البيت العربي كله.

قبلته ، قدم هداياه ، كان الملفت بهداياه أنها أثرية بغالبها وشديدة التنوع ، مجوهرات وملابس وساعة يتيمة و بلبل بقفص مذهب وأصيص به وردة نادرة فاجأها فصمتت ولم تسأل ، أخفى عنها سبب الغياب ويبدو أن مرضه العضال سيفتك به قريبا لذا نوع لها الهدايا حتى تبقى تذكرة لأكبر وقت ممكن.

وبعد الحديث الشيق تناولا الفطور وعادا لحوارهما وسألته : ماهي ماهية الملتحين ما مشروعهم ؟

أجابها : ما نفع الكلام بدون قواعد الإعراب فالإعراب يميز ما بين الأفعال والأسماء بقواعد مضبوطة وصحيحة، وجماعة الوهابية أو السلفية أفرغت الإسلام من مضامينه وحولته لأداةٍ سياسية يستخدم كآلة القتل للوصول للحكم .

فاسم الصلاة افرغ من فعل الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وفعل الصيام لم يعد مطلوبا له مكارم الأخلاق , لا بل أفتى أحد

الشيوخ بأن من المأثور عن السنةأن يفطر الصائم عصرا ،إذا ازدادت درجة الحرارة أو طال النهار.

تنشق الهواء أثناء إعدادها للقهوة الدمشقية المرة ، دخلت ووضعت القهوة وكلمته والشرود ربان أفكاره ، تعجبت ثم لكزته بيدها وقالت : ظننت أن اليوغا هي الغياب الأوحد عن الوجود ويبدو أن الشرود هو اليوغا السلبية التي نمارسها نحن المثقفون، قال متبسما:سأخبرك حين نصل للمكان المناسب في تقريرك عن التجارب النفسية التي عشتها .

سألته تلك التي اسمها لا أدري:كيف تمكنت من العمل أو بالأصح من مداراة الملتحين؟

رد على سؤالها مستفسرا :ألا تعتقدين أن للزهرة الوحيدة بين أكوام الشوك معنى مختلفاً .

لم تكن تضاريس الاختلاف بين المشروعين واضحة ، فكلاهما يظهر الولاء للوطن حرا كريما معافى، وتختلف الطريقة مع أن الطرفين يقاتلان بالسلاح ذاته ، إلا أن الإيديولوجيات مختلفة بشكل كبير.

تغيرت أمور عدة وظهر بين الوهابيين مصلحون قلة ، يخشون التصريح عن رغبتهم بإصلاح مذهبهم الذي بات جامعا للنفايات الفكرية ويكتفون بتلميحات بسيطة ، أحدهم كان رجلا تقيا يقوم ليله ويصون لسانه ويتحرى عن الشبهة ويكره العنف ويدعو لوحدة المسلمين ، اسمه **بحر** ولطفه كان كنسيم البحر في ليال الصيف الخانقة ، ودعاني للعشاء ولبيت الدعوة ، في مدينة

الموصـــل ، لا تملـــك إلا أن تســـأل ، مدينـــة الألغـــاز والأســـرار ، مدينـــة العـــرب والكـــرد والفـــرس والتـــرك ، ولا يمكـــن أن تحمـــل هويـــة إلا العربيـــة ولكنهـــا لا تتنكـــر للقلائـــد والقصـــائد والفرائـــد التـــي حملتهـــا مـــن دول الجـــوار , لا أحـــد يشـــعر فيهـــا بالغربـــة ، فهـــي تحمـــل مفـــاتيح التلاقـــي والتواصـــل بـــين الشـــعوب المتجـــاورة ، دخلنـــا بيتـــه ولطالمـــا لفتـــت حارتـــه الأثريـــة انتبـــاهي ،الطـــرق المرصـــوفة بالحجـــارة القديمـــة والجـــدران التـــي تمشـــي بـــالقرب مـــن بعضـــها مفســـحة القليـــل مـــن المســـاحة للبشـــر والأزقـــة الضـــيقة، وبـــاب بيتـــه الخشبي المطعم بالنحاس والعبارة المنقوشة عليه تقول :

(علـــم الإشـــارة : أن تفهـــم التصـــريح بـــالتلميح وأن تميـــز الفاصـــل الصغير ما بين القبيح و الجميل).

ولمـــا دخلنـــا بيتـــه ، وجـــدنا خرافـــة أو كنـــز ، لـــم نكـــن نتوقـــع هـــذه الفـــرادة التـــي تـــدمج العراقـــة والحداثـــة ، فشـــكله رجـــل ديـــن تقليـــدي بلبســـه وعباداتـــه وكـــذا شـــكل بيتـــه الخـــارجي ، أمـــا مضـــمونه مفكـــر وناقـــد وباحـــث متعمـــق متخفـــي عـــن العيـــون ، وكـــذا بيتـــه .. أدخلنـــي بعـــد العشـــاء غرفتـــه الســـرية التـــي تحتـــوي آلاف الكتـــب واللافـــت حقـــا صـــورة لمجموعـــة شـــهداء كبـــار التـــي يخفيهـــا بســـتارة عليهـــا صـــورة الكعبـــة المشـــرفة، ولمـــا رأيـــت كيـــف أخفـــى الصـــورة بالســـتارة ســـألته عـــن الســـبب ، فقـــال عـــرف هـــؤلاء الشـــهداء أن الســـتار الـــديني للإخـــوان المســـلمين لـــن يفلـــح فـــي إخفـــاء حقيقـــة أفكـــارهم الرجعيـــة ، ثم اسـتطرد كلامـه بأنـه لـم يكـن ليكشـف السـتارة عـن صـورة الرمـز الكبير لولا ثقته بحبي للعروبة الأصيلة.

وحينما جلسنا نتبادل الآراء حول كيفية عمل المقاومة والنجاحات الأخيرة التي حققتها ، قال بحر : المشكلة, أن الهوية التي يرتديها الملتحون ملتبسة ، فلاهي عربية صرفة ولاهي إسلامية صرفة ، والواضح أن العروبة كانت الحاضن الأشد حصانة وأمانة لحمل الإسلام وتعاليمه دون أن ننكر أهمية الشعوب الأخرى ولعل ميزة العالمية والشمولية التي يحملها العرب بدينهم ، كانت متعددة الضرائب وأولى تلك الضرائب أن الرسالة المقدسة لا يحملها إلا الشعب الحي والثوري الذي يريد النهوض ويحفظ كرامة الشعوب الأخرى ، وهذا ما جعل العرب عبارة عن حامل مؤقت (كنتم خير أمة أخرجت للناس)، لأنهم تركوا أهم الآيات (أقرأ) (الذين يأمرون بالمعروف) و(العافين عن الناس)، ولأن البعض من الجاهلين والحاقدين من المسلمين العرب والأسيويين بالأخص ولحسدهم وجهلهم وحقدهم على شعوب العالم التي تقدمت عليهم ألاف السنين بشتى المجالات ، جعلتهم يحاولون العودة لزمن السيف ظنا منهم بذلك أنهم يحيون الخلافة التي جعلتهم برأيهم أعظم أمة ذات يوم بفضل العظماء الخالدين الراشدين (رض) لعدالتهم وعلمهم وليس لمنصبهم وموقعهم القيادي في المجتمع آنذاك،ومن ثم فإن الإسلام دين عادل ساوى بين شعوب العالم ولكنه لم يساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، أما هؤلاء الملتحون خارجون عن كل المعروف من الخير والتسامح و الإنسانية ، اعتقدوا لوهلة ما أن سفك الدماء والإرهاب والقتل سيعيد أمجادهم ويوقف تراجعهم المهين ، وبذلك خرجوا عن جوهر الإسلام بل وحتى مظهره، فخليفة المسلمين عمر (رض)

لم يقبل بالرغم من شتم اليهودي الأعمى له ، إلا أن يطمئن بذاته من إعطائه حقه من بيت مال المسلمين ، وهؤلاء يقتلون المسلم ويشنعون بالأديان السماوية وأصحابها ولا دليل من تراث الراشدين أو سنة النبيين أو تشريع الرب العظيم على أفعالهم .

فما هو دينهم ؟ من هو نبيهم ؟ ما اسم كتابهم؟

في البداية تخوفت من أن الشيخ يفعل معي ما فعله ، لشك الجماعة بي ، ولكن وبعد عدة لقاءات توطدت معرفتي به وازدادت صداقتنا قوة .

وكثيرا ما كان ناقدا لاذعا للجماعة ، لدرجة كانت تجعلني لا أصدق أنه من جماعة اللحى، كان يشكك كثيرا بأهدافهم ، ويرى في جهلهم عدوا للبشرية جمعاء وبالأخص للإسلام لأنهم يعملون بتوجيه استخبارات عالمية على ضرب الإسلام وتشويه سمعته.

طلبت منه بإحدى السهرات الصيفية الرائعة أن يشرح لي عن الهوية التي يدعيها هؤلاء الصهاينة الجدد؟

قال لي: إن المناهج التعليمية وبالأخص العربية التي تبث روح الفخر لدى الطلاب بما أنجزه العرب وبحضارتهم العريقة التي يعيش بنعيمها الشرق والغرب ، مناهج صورية تركز على الشكل دون المضمون ، فهي تصف الانتصارات على أنها سفك دماء وسبي ونهب وسلب والحقيقة أن السلوك الإسلامي كما وصفه المبدع أمين معلوف السلوك الديني الأكثر تسامحا تجاه الأديان الأخرى، بدليل أن الحكم العربي للأندلس ، لم يضطهد

الـــديانات الأخـــرى علـــى عكـــس القشـــتاليين والأرغـــونيين الـــذين أعملـــوا المجـــازر بالمســـلمين عنـــدما انتهـــى الحكـــم العربـــي لهـــا، وبالتـــالي فـــإن العربـــي المتلقـــي لهـــذه المنـــاهج يحلـــل مـــا يتلقـــاه بشـــكل متخلـــف يفـــوق بخطـــره العـــدو الخـــارجي ، إذ ينظـــر للحضـــارة الحديثـــة المبنيـــة علـــى التواصـــل والاتصـــال علـــى أنهـــا بدعـــة ومـــن ثـــم يبـــدأ بالرغبـــة للعـــودة لـــزمن الســـيف للقيـــام بالفتوحـــات الجديـــدة وهنـــا بيـــت القصـــيد فالأجيـــال الناشـــئة تـــرى الفـــراغ الكبيـــر فـــي المنـــاهج التعليميـــة الـــذي يصـــور الأمـــة العربيـــة علـــى أنهـــا أكثـــر الأمـــم إبـــداعا والواقـــع المعـــاش عكـــس ذلـــك ، فهـــذه الأمـــة مظلومـــة ومحتلـــة ومنهوبـــة مـــن الاســـتعمارين الـــوطني الـــذي يجعـــل الأمـــن والتجـــارة ســـيف الســـلطان المســـلط علـــى الرقـــاب ، والاســـتعمار الخـــارجي الـــذي يهـــين الشـــعب العربـــي بدعمـــه للصـــهاينة وحرمـــان العـــرب مـــن حقهـــم بـــامتلاك المعرفـــة ، فيلجئـــون للشـــيوخ الجهلـــة بكـــل العلـــوم وحتـــى الشـــرعية منهـــا ، والـــذين تعلمـــوا مـــن الســـلطنتين الوهابيـــة الحديثـــة والعثمانيـــة القديمـــة والـــدا عشـــية التـــي صـــنعت فـــي مختبـــرات الغـــرب وســـجونه، أن يبـــرزوا الجانـــب الإرهـــابي للنـــاس ليمعنـــوا فـــي محاربـــة الفكـــر والعقـــل وممثلـــيهم ، ألـــم يكـــن المفكـــر عـــدو الدولـــة العثمانيـــة الأول، أليســـت قيـــادة الســـيارة حـــق ؟ أقصـــد أنـــه بـــات لزامـــاً علينـــا أن نجـــاري روح العصـــر، فالإســـلام ديـــن يصـــلح لكـــل زمـــان ومكـــان صـــار،لماذا لا نلحـــق بتطـــور و قـــوة الإســـلام؟لماذا نتخلـــف عنـــه ؟ ونشـــوهه بقصـــدٍ منـــا ، أو عـــن غيـــر قصـــد، ومـــا يزيـــد بقـــوة رجـــال العنصـــرية (الـــدين بـــالمفهوم العربـــي المتـــداول هـــو الطائفـــة ، لأننـــا فـــي عصـــور الانحطـــاط ، فـــي حـــين أن القـــرءان ركـــز علـــى أن

الــدين مــا هــو إلا ســلوك إنســاني راقٍ وخلــقٍ قــويم فــي عصــر الازدهار).

أمـا العوامـل الخارجيـة ، فكـان الاحـتلال الأمريكـي للـدول العربيـة كـالعراق وقواعـده المنتشـرة فـي بعـض دول الخلـيج ، والاحـتلال الإسـرائيلي لفلسـطين وأجـزاء مـن جنـوب لبنـان والجـولان، ناهيـك عـن الاسـتبداد المطلـق فـي العديـد مـن الـدول العربيـة، العصـا السـحرية التـي جعلـت مـن المجتمعـات العربيـة خصوصـا والإسـلامية عمومـا مسـتنقعا ملائمـا وبيئـة مسـتقبلة للإرهـاب وداعميه.

والمشـكلة أنهـم أي الملتحـون بـلا هـدف ولا رسـالة ولا مبـدأ، إلا أنهـم يشـتركون فـي المقاومـة ليثبتـوا مـوطئ قـدم بالمنطقـة ، ويجتـذبوا الشـباب لإرهـابهم، ومـا هـم إلا صـنيعة الغـبن القضـائي العربـي والتخلـف التعليمـي والعلمـي والـدكتاتوريات المدعومـة غربيـا،التي تخشـى أن يصـبح للعـرب برلمـان فعلـي غيـر تلـك البرلمانـات الصـورية والتـي تغيـب أحيانـا عـن بعـض الـدول العربيـة رغـم أنهـا فـي كـل الأحـوال وجـدت أم لـم توجـد بـلا عمـل ولا مغـزى مـؤثر فـي الأحـداث لكـن ورغـم أنهـا تمثـل أدنـى حـد مـن الحريـة والممارسـة الديمقراطيـة للحكـم ((لـم تكـن موجـودة و لا حتـى اسـمياً لـدى الـبعض)) ،لأن الـنفط العربـي ممـول لآلات حـربهم وداعـم لتفـوقهم المـالي ويجعلهـم يتحكمـون بسـعر الـنفط العربـي بمـا يتفـق ومصـالحهم ، هـل منـالمعقول أن يكـون ثمـن الغـاز المصـري المصـدر للكيـان الجرثـومي أرخـص منـه فـي مصر ذاتها؟

استفسار يثير زوابع التحليل في تاريخ العرب

(ليس من حق أحد أن يجمل تاريخ أشخاص ليخفي تاريخ أمة)

بين بيروت ودمشق ستبقى رسائل الغرام

غرقت في نومها مع قدوم الصباح والناس بدؤوا نشاطهم، ينام الناس وتستيقظ هي ، هي كمن يسبح عكس التيار طيلة أيام حياتها ، ولكنها لم تفكر يوما بهذه الحالة التي تصنف بالشذوذ عند البعض وبالتميز عند البعض الآخر ، سألتنفسها : هل يمكن للحب القديم أن يعيد عقارب التفكير لتعمل وتناقش وتستنتج وتصحح ، هل كنت ساعة تعمل عقاربها عكس المعتاد ؟ربما كان هربا من شبح الحب الأول .

حاولت تجميل صورة زوجها الثري مع أنها تدرك لامبالاته بها إلا عندما يرغب بممارسة الجنس ، ولكنها أدركت أن تجميل القبيح يعني طمس الجميل والحقيقة .

شربت قهوتها الزكية الرائحة والممزوجة بمرارة الهبل ، نعم الهبل لا تتفاجؤوا فهي تعرف أن الرجال يقصدون بيروت للهو، ولكنها تثق رغم شكوك غيرتها المبررة واللا مبررة بأن صابر رجل مختلف تماما ، وليس من صنف رجال الشهوة ، فتحت الشابكة وولجت صفحتها الخاصة على الفيسبوك وكتبت بما يشبه الرسالة ، مقالا أرفقته بصورة صابر , وهذا المقال بيت مشاعرها صوب حبيب تكذب معه أشنع كذبة بأنهما فقط صديقان: (لازال جامدا كعادته صديقي يقضي ساعاته غارقا في بحيرات شروده وجبال همومه أحاول أن أتسلق أغصان فكره

المتشعب ،فأهوي لقعره الصلب المتخفي بابتسامة لا أعرف إن كانت استحسانا أم استياءا،ولكنها وبالرغم من كل التفسيرات تخفي آلامه،وأحاول التخفيف عنه وتهوين آلامه وأحاول وأفشل، بل أتحول إلى محتاج لمعين يهون أمر فشلي ووقعه في قلبي فيهون علي مشكلاتي بدلا من أن أهون عليه ، صديقي هذا وبعد أن تفتحت عيناي على وفائه وإخلاصه، سألته لما يحيط نفسه بهالة الغموض المتبسم ،أجاب قائلا :أنا فيلسوف خلقني الله للجميع ، ولو أحببت مشاركة أحدهم بسري لحال بيني وبين ما أرسلت به ، لأن حاصد السر من صدر الفيلسوف محبوبه الأعقل والأفضل بين مجتمعه ، وبالتالي سيضيع بقية الناس لأن المعلم الفيلسوف سيصبح ملكا لشخص يحفظ سره.

صدق صديقي فالفيلسوف يحزن حين يحب، لأن قلبه مملكة العالم وحديقته الأنقى والأجمل إحساسا وشعورا وذكاء وأحلاما وإبداعا)ولما أغلقت الفيس بووك ، وتابعت مطالعاتها عن التاريخ السرياني القديم ، وماهي إلا ساعة ورن هاتفها ، أجابت ألو! رد صابر مرحبا كيف الحال ؟ ممكن نتواصل ع الفيس أجابت ممكن ،أغلقا الهاتف.

تأخرت متعمدة بضع دقائق حتى فتحت الفيس بووك، في الوقت الذي انهالت فيه مئات التعليقات التي تسأل من هو هذا الصديق؟

تابعت هذه المرة الحديث مع صابر بصرامة فلم تسأله ولم تلح عليه أن يعود لدمشق ليلتقيا، سألته من هو المثل الأعلى للمؤسلمين ، أجابها عدة شخصيات فقالت :أيها الأقدم.

قال :بعض السلاطين الذين اعتلوا عرش الحكم بعد الخلفاء الراشدين.

سلاطين الملك الذين قتلوا العلماء ورجال الدين الحقيقيين، ففي كل عصر كان هناك سلاطين يهمهم الملك لا مصلحة البلاد والعباد ، فهؤلاء أحد أهم الذين انقلبوا على الشرعية الراشدية،عندما حولوا نظام الحكم من الشورى للوراثة ، وعندما اتخذوا الحجابة والحراسة والبذخ مخالفين حياة السابقين، وهتك مسلمات الفكر الإسلامي التي تؤمن بنبوة محمد وقدسية أل البيت الطاهرين والصحابة المنتجبين والتفافهم حول الله ورسوله رضوان الله عليهم ،ومن ثم فإنهم جعلوا من المؤيدين لحكمهم مذهبا مسيس وممن عارضوا حكمهم كفارا لا حق لهم بشيء حتى مجرد إبداء الرأي ،والمثير حقا للسخرية أن بعض الناس يجعل المجرم بطلاً و يلصقه بالإسلام المنزه عن الباطل، والمعروف أن جلهم كانوا رجال سياسة لاعلاقة لهم بالدين ، بل إن أحدهم كان يقول هازئا بالقرآن الكريم ، قائلا الرب قال : (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وها نحن سكارى فقد سقطت عنا الصلاة.

ومن المبكي والمؤسف حقا ، أنه بالرغم من انفتاح العالم وتقدم العلم والبحث العلميإلا أننا لا نزال علىفهم وتعامل الأمويين والعباسيين ومن تبعهم من العثمانيين مع موضوع السلطة ، الذي كان اختراقاً كبيراً لوحدة المسلمين، وتقويضاًلدولتهم وتشتيتاً لقوتهم المستمدة من مبادئ الإسلام الأولى ، واحترام الرعيل الأول من المسلمين ، وإغراقهم في بحر خلافاتٍ وهمية

مـن خـلال مـوقفهم مـن الصـراعات الداخليـة بـين المسـلمين علـى عـرش الحكـم ،وهـذه التصـرفات كلهـا أفرغـت الأمـة مـن ألـق الفكـر وحـرارة العاطفـة لـدى بعـض المسلمين تجـاه مـورثهم المنيـر الـذي مجـد العقـل والقـيم والأخـلاق ، فمـن المؤسـف حقـا، عنـدما أسـال جيرانـي المنتمـين لـدين واحـد يقـدس الآل والصـحابة المنتجبـين عـن سـبب الصـيام فـي عاشـوراء ، فيجيبـون وبطيـب نيـة ، ومهمـا اختلفـت مسـتوياتهم الثقافيـة والعلميـة ،بأنـه صـيام شـكر لله لأنـه نصـر سـيدنا موسـى عليـه الصـلاة والسـلام علـي القـوم الكافرين،فأجبـت الحاضـرين : سـحقا لعقـولكم، سـبحان الله تـذكرتم نصـر سيدنا موسـى وفـرحتم ونسـيتم ابـن بنـت نبـيكم الـذي مـا جفـت دمـاؤه (هـل لاحظـت التشـويه الأمـوي والغبـاء العربـي فـي رد الحـق لأصـحابه حتـى يومنـا هـذا)، ردت أخـاف عليـك فرأيـك هـذا قد يكون سبب لقتلك من المؤسلمين ، فرد خاتما حديثه:

(ليس من حق أحد أن يجمل تاريخ أشخاص ليخفي تاريخ أمة)

علينـا أن نقـر بـأن مـا مضـى مضـى وأن أمتنـا تفتخـر بالرسـول وآلـه وصـحبه وأننـا لـن نبلـغ معشـار مـا بلغـوا مـن المجـد والكرامـة ، مـا لم نحب بعضنا بعضا.

قالـت : لكـن هنـاك مـن لا يقبـل بقـول الحقـائق التـي يراهـا عـن سياسـي يناصـره ، فكيـف سـيقبل بسـماع شـيءٍ حـق عـن مـاض رجـل أو خليفـة يعتبـره خيـر خلـق الله، رد مبتسـماً اسـأليه مـاذا كتب الرجـل الـذي تعتقد بعظمتـه ، ألـم يقـل الـرب الجليـل فـي محكـم التنزيل :

(وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

الجذور التاريخية للعنف والتسييس الإسلامي

(أخطر ما في المجتمعات أن يتحول ضمير الأفراد لما يقوله شخص ما)

قالت له : عدني أن تتجنب الحديث بهذه الطريقة، فقال : لا لن أعدك ،فشهادة الحسين الشريف أنقذت ديننا من الضياع والتسييسو قدمت لنا مثالاً رائعاً عن حب الله والوطن ، أستأذن منها ،فقد تأخر الليل ويريد أن ينام ،ثم كتب على صفحة الفيس بووك مايلي:

الحمد لله فالتاريخ يبقى منطقيا ،لأن المنطق: هو الفيصل مابين الزيف والواقع في السرد التاريخي، والمنطق بما يحتويه من عقلانية وفهم يشابه بالدور الذي يقوم به في مختلف مناحي الحياة دور عقارب الساعة لتحديد الوقت ولكن المشكلة عندما يصبح الناس بجميع مواقعهم المهنية والعلمية عبادا لدين يحول الدين من رسالة إنسانية تجعل من الإنسان غاية القيم إلى امتيازات فردية تحول كل شيء لقيمة مادية ووسيلة لبلوغ مآرب بغالبها لا إنسانية وهي امتيازات ممن لا يملك لمن لا يستحق وتمنح لمن يفتي بما يرضي السلطان لا الله، ومما يجعل من الحالة وباءً فيروسيا شديد الانتشار غياب الوعي والجهل بالحقائق ورفع قيمة الأفعال العنيفة في التاريخ والسير ، لتحول حروب القبائل المخزية والمخجلة كحرب داحس وحرب البسوس إلى ملاحم وتخفي بالوقت ذاته قصص الحكمة والعبرة في سير الأولين، ومن هنا كانت اللعبة التي عمل عليها الاستعمار الخارجي المدعوم بالزعامات الراديكالية الداخلية

والتــي وإن اسـتحدثت شـكلا مــن المدنيــة بقيـت نفسـها لـم تتغيـر بطريقــة الإدارة والحكــم ، اللعبــة التــي قامــت علــى أســاس إفــراغ العقـول مـن المنطـق حتـى وإن وصـلت لأعلـى العلـوم ومـن ثـم ربــط الوضــع العــام للــبلاد بجلالــة السـلطان الـذي يحكـم بطريقـة التاجر والمقامر بأغلب الكيانات العربية.

أمتنا العربية التي قال بها الرب الجليل في محكم التنزيل : بسم الله الرحمن الرحيم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) صدق الله العظيم.

كانـت أحـد أهـم مسـارح الحضـارة الحافلـة بالنشـاط والإبـداع ، لأنهـا جعلـت الأخـلاق قيمـة القـيم وقـد تجسـدت فـي سـلوكيات علمائهـا كالشــافعي (رض) وغيــره ، فالتــاء فــي أفعــال مثــل (تــأمرون ، تنهـون ، تؤمنـون) بالآيـة الكريمـة السـابقة دلـت علـى الاسـتمرارية والتواصــل مــابين فاعــل الخيــر وتــارك الشــر وبالتــالي يصــبح الطريـق معبـدا للإيمـان بـالله، فكمـا ورد بـالأثر (تـارك الشـر كفاعـل الخير).

مـا حصـل بهـذه الأمـة ، كـان التحـول مـن الاعتمـاد علـى جـيش مـن العسـكريين العـرب زمـن العباسـيين إلـى قـادة تـرك زمـن المعتصـم وفـرس زمـن المـأمون ، لـم يـدافعوا عـن الـبلاد بالشـكل المطلـوب لغيــاب الحــاكم العربــي المرهــوب الجانــب والشــجاع ولــذا فــإن غيـاب العـرب عـن القيـادة العسـكرية اسـتتبعه غيـابهم عـن القيـادة السياســية القويــة والموحــدة للــبلاد الممثلــة بالخليفــة كمنصــب سياســي ، ولكــن المشــكلة كمنــت فــي التفاصــيل ،فالخليفــة احتكــر منصــبا لــه ولأهلــه ، أي منصــب ((أميــر المــؤمنين)) للدلالــة علــى

أهميته الروحية وكأنه طور فكرة الفرعون الإله المصري ليكون الخليفة السياسي المؤيد بكتاب وسنة الله ورسول الله ، بالرغم من أنه في الوقت ذاته يكافح كل ما بقي من عترة الرسول الطاهرة لكونهم محبوبين شعبيا من المسلمين في كافة الأصقاع وبالتالي فهم خطر على (العروش الواهية) أمام سلطان أل بيت الرسول على قلوب وأفئدة الناس.

والمشكلة أن الانشقاقات التي استحدثها الأمويون بعد قتلهم الحسين الشريف **قبلا**لم تكن بأقل خطورة عما فعله العباسيون **لاحقا**،فاستحداث فكرة الوراثة التي كانت أكبر مؤامرة تعرضنا لها بتاريخنا، التي جعلت من المتعارف عليه زمن الراشدين لاغيا، وأوصلت للحكم اللاهثين للسلطة والطامعين بالدنيا وأمثالهم ممن شوهوا وضربوا بعرض الحائط ، كل المعاني والقيم والحسابات والمقاييس الأخلاقية التي أسس لها الرسول وآله وصحبه لحكم أمة الرحمة التي لا يغيب عنها نور المحبة للبشرية جمعاء.

ومن هنا بدأت الشخصية العربية خصوصا والإسلامية عموما تعاني من انفصام بالشخصية بين اتجاهين عامين في الإسلام الأولى تأخذ الدين عن الرسول وأله عليهم الصلاة والسلام والثانية تأخذ الدين عن الرسول والصحابة وضمن كل مدرسة انشقاقات أخرى ، فمدرسة الصحابة الكرام أخرجها بعض السلاطين عن مضمونها بشرائهم الذمم من الأولين ليغيروا ويفسروا الأحاديث النبوية الشريفة بما يثبت الباطل والزيف، ويلغي نور بيت النبوة ، فهم جعلوامن المذهب الإسلامي أيا يكن

توجها سياسيا، من هنا كان التدين في عهد السلاطين الأمويين والعباسيين((سياسة لا دين))، فأي مسلم يريد العيش بسلامٍ غليه أن يشتم خصم السلطان مهما باغت درجة قرب المشتوم من الله ورسوله ولكن للخلاف السياسي بين المسلمين بدعه التي لا تعد ولا تحصى، إذ جعلوا من شتم المناوئين لحكم بني أمية ، عبادة لبني أمية وليس لله والفعل الحقيقي أن التدين كان في الحجاز والكوفة لوجود أل بيت الرسول الكرام والرعيل الأول من الصحب الكرام ،وما خلا ذلك لم يكن سوى تحزبات سياسية إلا ما قل وندر.

وعندما كان لبعضهم وصف توردہ السير والتراجمبالسكير المعتوه كرسي حكمٍ متسع الصلاحيات ، سقطت الأمة سقطتها المدوية العجيبة التي جعلت الأمة بمدرستيها آنذاك تقتل الشريف والسيد والإمام الحسين عليه السلام ، فمدرسة خانته وأخرى قتلته وهنا نتحدث عن مدارس ذات توجهات سياسية لا دينية ، فمن غير المعقول أن يكون الخلاف مهما بلغت درجته مبررا للقتل...فمن المستحيل أن يتنازل متدين متنور عن سبط رسول الله.

وحين تتابع برنامجا حواريا وتسمع خرافات و أبراج وتحليلاتٍ جاهلية.

ونحن لا زلنا نخشى أن نقول الحقيقة، لأننا نؤمن بأن تاريخ شخص ما ، إنما يستمده من رضا السلاطين عليه ، لا من آثاره الصالحة.

الغبن لا يجدي والاستعمار لن يستمر

(ليست المشكلة في مفترقات الطريق بل في توجهات من يسير)

النزيف الدمشقي 2011

النوم العميق يشعرني بأني أولد من جديد عندما أستيقظ ، قاتلت طيلة حياتي من أجل مستقبلي ، ولم يكن لنجاحاتي الصحفية جزء من بريق أول عنوان نشرته عنك يا صابر، توافدت اتصالات تستفسر عنك ، وعن ما لديك من معلومات هددت بالقتل ولكني سأكمل المسيرة .

أكملت قولها سيدي لماذا تريد الحديث عن الفتنة السورية ؟؟

دعنا نتحدث عنها في كتابنا القادم ، إن لم يقم التكفيريون بقتلنا، ضحك كلاهما.

حسنا فلنكمل الحديث عن العراق .

لكني سأكلمك غدا فاليوم عملي يكاد يكون غواصة تهبط بي إلى أعمق نقاط البحر.

تودعا وأغلقا الهاتف .

رغم تودد زوجها وأولادها وطلباتهم المتكررة بمغادرة سورية لخطورة الأوضاع الأمنية فيها ، لكنها أبت ووضعت شعاراً على كنزتها يقول :(أمهات سورية قدوة للعالم ، وكلنا أمهات لرجال الجيش العربي السوري).

لقد أكدت مرات عدة أنها ترى بكل قيادي عربي داعم لسورية ولجيشها الوطني غاندي جديد يستحق الاحترام ، ولكن سياسة النشر في الجريدة تحاشت أن تقول بأن جزءاً كبيراً من الاقتتال على سورية سببه الخوف من نجاحٍ جزئي يقوي البلاد و طمعاً بالنفط السوري و للخوفمن أي تنتهج الدول العربية سياسة تحدٍ ومواجهة أسوةً بدول أخرى ،ولأن الثقافةكمفهوم تحمل في طياتها الوعي المقاوم لأي مشروع يهدفلتخريب وجه المنطقة ، و النخب الفكرية المصرية و الشعب المصري الجبار عوامل أنقذت وجه العروبة ((مصر)) الحضاري من الغزو الفكري و الحضاري المضاد لثقافتنا العربية وقيمنا الإسلامية السمحةو المتحلي بالتشدد والعثمانية وأن الصمود البطل للنخب المثقفة والشعبية هو من أسقط حكم عماده الطائفة الدينية وجاء بنهجٍ موجود في طيات الوعي القومي العربيعماده يجب أن يكون الوطن والمواطنة.

فالعالم كله وبأخس وأقذر الوسائل حاول إسقاط سورية من مثلث الأحداث العربي وحرف الصراع من عربي صهيوني لعربي إيراني ولكم ما حصل ، كان تصلبا سوريا وانتصارا للإنسانية بكسر ما يريده الاستعمار، ورغم كل الاتهامات الظالمة والعقوبات المجحفة بحق مثلث برمودا سورية ، نعم برمودا الصمود السوري لأن العالم عجز عن فهم سر تلاحم الإنسان العربي بأرضه ، صمدت سورية ولم تستسلم.

أخيرا قالت لزوجها وأولادها: أليس غريبا ؟بلد محاصر ومعاقب وهدد من الولايات المتحدة كإيران يتقدم في كل

المجـــالات ودول عبـــدة ومســـتعبدة للولايـــات المتحـــدة الأمريكيـــة تـدخل موسـوعة غينـيس بعـدد الحفـلات وأطبـاق الطعـام ... لمـاذا لا تشـعر الولايـات المتحـدة بعظمتهـا وسـلطانها إلا لـدى الأعـراب! ليسـت المشـكلة فـي الطريـق بـل بقصـر نظـر توجهـات مـن يسـير عليه.

إذ يبـدو أن المعــاقبين أمريكيــا حتمــا يســيرون باتجــاه الأفضــل ، والمفضـلين أميركيـا يسـيرون باتجـاه التطبيـع والإذعـان والخنـوع ، ليــت العقوبــات الأمريكيــة تشــمل العــرب جميعــا حتــى نســتيقظ كإيران.

ختمـت الحـديث معهـم مـن التـاريخ : لـم تسـقط سـورية ولـم يسـقط العــراق أمــام غــزواتٍ مغوليــة وصــليبية ، ولكنهــا امتصــت قــوة الهجـوم وهيـأت الفرصــة لصـعود القـوة الشـعبية آنـذاك و لتوصــل العــرب لمعركــة حطــين ومــن ثــم معركــة عــين جــالوت واليــوم الطريـــق إلـــى فلســـطين تطرقـــه إرادة و دمـــاء الشهداءوســـيفتح الطريق إلى القدس الشريف.

المدرسة البديلة فشلت في تعبئة الشباب

(من ضيعه الأقرب أتيح له الأبعد) الإمام علي.

العراق 2004

سألته من هي المدرسة الثانية وما دورها ؟ في صد الاستعمار وكبح جماح المتشددين

القوميون المنقسمون لتيارات عدة تدعي أنها تسعى للوحدة العربية وتختلف في مراحل تنفيذ الهدف ووسائل التنفيذ .

برز حزب البعث العراقي والقوميون السوريون والناصريون، لكن عراق الراحل[4] صدام (لأنه انفرد بالسلطة، وكأن العراق ورثة له أو ملك) كان عراقا ممزقا وطائفيا والحزب بدل أن يوحد الجميع حول الوطن فرقهم فكان الاسم حزبيا والمضمون طائفيا ، يضاف لذلك ما قامت به سلطات الدولة أثناء حكم العبثيين من أقرباء صدام ومؤيديه من قتل وتشريد بحق المعارضين وخاصة المسلمين الشيعة والأكراد منهم والذين لا يمثلون إلا نسبة تقدر بالثمانين بالمائة من سكان العراق، فمن أرضى أو كسب صدام أثناء حكمه؟

كل ما سبق وقلته وسواه ، أدى لولادة أحزاب ممسوخة لا تمثل حقيقة ما يريده الشعب إلا من ناحية الشعارات.

---

[4] تم إعدامه على يد قوات الاحتلال بعد غزو العراق2003 ....

كان بحر منتميا للإخوان المسلمين مخافة بطشهم ،ومنتميا للقوميين العرب بحكم الإيمان وكان يناقض أفكار الإخوان وينتقد فساد القوميين سراً .

لقد طرح القوميون أفكاراً عديدة تتميز بقدمها وعدم ملائمتها ومسايرتها لروح العصر والتغيرات الجارية في المنطقة والعالم... ففشل المشروع القومي بتحديث المجتمع العربي وتحرير الأراضي العربية ، أعطى للمشروع السلفي بوابة أوسع للتحرك وإسقاط ما بقي من معالم قوة الأمة العربية...

فالوحدة العربية أمر طبيعي وواقعي، ولكن وبما أن العصر عصر تكتلات اقتصادية ، كان على الطرح أن يتحول من الوحدة العربية للتكتل الاقتصادي الذي يضمن رضى الجميع لأنه يعني حياة رغيدة ورفاهية أكبر،أما الشعارات الأخرى كالحرية فهي مطلب أمريكي غربي إسرائيلي لدول العالم فقط في منطقتنا ، في حين يطالبون بدولهم بدولة القانون ، لأن الحرية تعني التفلت والفوضى أما القانون يعني الانضباط والالتزام ، ولست بمعرض الدفاع عن أحد ، فالحرية لا تعني القتل و التدمير والتخريب ، إنها المسؤولية و الالتزام الراقي بتحسين وتغيير الأوضاع باتجاه الأفضل ، بما يعني ذلك ضمناً أن تكون الأخلاق و التعاليم الربانية التي جاء بها سيد الخلق مصانة و محفوظة. والاشتراكية سقطت في بلد المنشأ، وأثبتت أنها تعني حرفيا المنتج والمستهلك يقاسان بمقياس واحد وهو ما سبب تراجعا للإنتاج وازديادا للفساد.

وظـل بحـر علـى خـط وسـط بـين طـرفين ،وقـد شـرحت لـك عـن أفكـــار الإخـــوان و بعـــض ممارســـاتهم....أما القـــوميين فقـــد دب الفســـاد والرشـــوة فـــي صـــفوفهم واختـــرقتهم مخـــابرات العـــالم وحـرفتهم عـن القضـية الأسـاس قضـية بنـاء الـوطن العربـي الكبيـر والمحـرر مـن طنجـة حتـى جـزر أبـو موسـى ....مـرورا بالقـدس الشـــــريف الاســــكندرون الســــليب ووادي عربـــــة واوغــــــادين الصـومالي العربـي إلـخ، ثـم إن فراغـا كبيـرا تركـه رحيـل كوكبـة مـن نجـوم القوميـة العربيـة ممـن غيبـوا عـن الحكـم، ولـم يسـتطع أحـد ملـئ الفـراغ النـاجم عـن غيـابهم بسـهولة ...أضـف لـذلك أن الحكومـات التـي حاربهـا الغـرب مـن جهـة منعهـا مـن التطـور العلمـي خصوصـا ، وخلـق لهـا مشـكلات داخليـة مـن جهـة ثانيـة ، لـم تسـتطع علاجهـا بطريقـة عصـرية فـزادت مـن ضـعف الانسـجام والـتلاحم بـين مكونـات الـوطن الواحـد وهنـا نؤكـد أن الموقـع الوســط جغرافيــا للــوطن العربــي وســماحة ووســطية الإســلام ورحمــة الفــاتحين العــرب ، أدت لــدخول عناصــر غريبــة إلــى بعض أقطـار الـوطن العربـي ، منهـا مـن انـدمج ومنهـا مـن بقـي بـين بـين ، فـالعراق كسـورية ولبنـان ودول المغـرب العربـي كانـت منـارا للحضـارة ومقصـدا للعلـم والعلمـاء عبـر التـاريخ، فـلا يوجـد قطـر مـنهم إلا بـه عـدة قوميـات ومئـات الطوائـف ومـع أن وجـودهم نقطـة قـوة للـبلاد ودلالـة علـى حضـارة أهلـه إلا أن غيـاب خطـط التنميـــة الاقتصـــادية والاجتماعيـــة وحداثـــة بعـــض الـــدول فـــي الاسـتقلال والتعامـل مـع هـذه الملفـان مكـن الاسـتعمار مـن الولـوج لقلـب المجتمـع العربـي وتفكيكـه...فما اسـتغرقته بريطانيـا فـاق العـام لتحتـل مـن البصـرة باتجـاه بغـداد فـي القـرن التاسـع عشـر ، لـم

يستغرق شهرا في القرن الواحد والعشرين مع قوات الاحتلال الأميركي ، مع العلم بأن عراق القرن التاسع عشر كان أضعف بكثير من عراق القرن الواحد والعشرين.

فسقوط بغداد بيد قوات الاحتلال الأمريكي ، كان بنتيجة حصار ظالم دام ما يزيد على ثلاثين عاما ترافق الحصار بسياسات طائفية وقصيرة النظر للحكومة العراقية آنذاك ، مما ساعد بدخول الغزاة للعراق بسهولة.

والمهم أن القوميين العرب في العراق فشلوا، أولا لأنهم أرادوا إعادة أخطاء الحكم السابق لصدام الذي يرفضه مكون كبير من العراقيين وثانيا لأنهم مشوا بطريق التمييز العنصري والطائفي البغيض بتوجيه من بعض الاستخبارات الإقليمية التي دائما ما تقاطعت مصالح بعض أنظمتها الرجعية مع الامبريالية العالمية لكون جميع أعداء الوحدة العربية يخشون قيام دولة العراق الكبير القوية والموحدة والمؤثرة في أحداث المنطقة والعالم.

شرح لي بحر أسماء وأماكن تواجد القياديين القوميين ، وأن الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم ، و اسمه الحركي أو شهرته ب ((حرب)) لهي أشد وأخطر المؤامرات التي تهدف للإساءة لرجال الصلاح، وزرع الإرهاب ، طلب منه دمجي بالقوميين لأكون عينا له على أفكارهم واتجاهاتهم .

قال لي بحر : أتعرف لي معه خمس سنوات ولا يثق بي ، فانتبه ستبقى مراقب، عدت للمعسكر وتوجهت للمكان المطلوب وتعرفت ببعض القادة العرب القوميين وقد قدمني لهم أحد أتباع الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم ، و اسمه

الحركي أو شهرته ب (حرب)، تعرفت بهم ، وكانت مكاتبهم مملة ومليئة بالصور والشعارات تتهدل بطون القياديين من كبر كروشهم وجلهم أصلع ويضع كتبا عدة على مكتبه...مليئة مكاتبهم بالروتين وعقولهم بخطط أكبر بكثير من إمكاناتهم وأغلب المخططات على الشعب وحده أن يدفع ثمنها فهم لا يمكن أن يقدموا ولا قرشا واحدا .

قرأت بعض شعاراتهم وكم داعبتني ودغدغت مشاعري كلماتهم وخطبهم الحماسية واسترجاعهم لبطولات العرب في حطين وعين جالوت ورغم تقدمهم فكريا بآلاف السنين الضوئية على المشروع الوهابي الصهيوني .

فمن أفكارهم ...الوطن العربي ملك للعرب والمقاومة واجب شرعي دفاعا عن كل قطر محتل أو يتعرض لاحتلال والوطن فوق المذاهب والطوائف والأحزاب والمناصب ...

قاطعته وهل في أفكارهم ما يغضب..أجاب صابر إطلاقا .. ولكن دعيني أكمل، حسنا أكمل.

بعد اجتماعات استمرت أسبوعا تم تكليفي بمهمة الذهاب للبصرة لإيقاظ الثورة ضد الاحتلال ، ثم وبعد فترة قصيرة ، قرروا إيفادي لجبل سنجار لتمكين جيب للمقاومة والانطلاق منه صوب تحرير الموصل وبالفعل أخبرت موفد الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم ، و اسمه الحركي أو شهرته ب ((حرب)) ، برحيلي للمكان المقصود فسلمت رسالة شفهية بأن أحد مريدي الشيخ سيتواصل معي والسر كلمة قادمون.

تم تجميع المقاومين واستقدام السيارات اللازمة للتوجه صوب المكان المحدد وبعد مسير خمس ساعات توقفت السيارات وانقطعت طرق المواصلات ، تابعنا السير راجلين بطرق معقدة ووعرة كعقول الأعراب ولم يكن مسيرنا إلا ليلا حتى لا تقصفنا طائرات العدو.. والحقيقة لم نكن نعرف العدو من الصديق لا في الأرض ولا في السماء .

وصلنا جبال سنجار ، استقبلنا أحد الرجال واسمه قتادة.

كان رجل القوميين الأول ، ذو لحية شقراء خفيفة وعيون زرق، وخبرة واسعة بالسلاح وتكتيكات القتال ، يبدو أنه لايثق حتى بعينيه، وكم حاول ذم المتشددين أمامي ولكني كنت أقول المهم خروج المحتل، ولما ازدادت ثقته بي ، قال لي : قادمون ، فكتبت له كيف وصلت للقيادة بين القوميين وأنت ضدهم ، فقال ركبنا القطار وحرفناه عن سكته ، هولاء قوميون بالاسم ومتشددون بالفعل .

وطلب مني احد قادة القوميين أن أكون عينا له على المتشددين في المعسكر فوقعت فريسة الشك المطلق بين جناحي المقاومة.

قالت : كيف تمكنت من لعب دورٍ مزدوجٍ ، فقلت لها :(كنت منتميا للطرفين فمع القوميين أعامل على أني أخرس وثلة هم الذين يرونني ولكن لا أتكلم البتة وأدعي الخرس وإنما أتواصل معهم كتابة ومع أتباع المشروع السلفي كنت أتكلم ولكن لا أحد يسمح له برؤيتي ، وهكذا كنت همزة الوصل بين المشروعين ثم قرر القوميون بعد مهمة التدريب بسنجار إيفادي لبغداد لتحريك المقاومة الشعبية، ولما وقع الصراع بين المشروعين ،

جـاء مشـروع جديـد مـدعوم مـن دول الجـوار ولكنـه فشـل بتعبئـة الشباب فوقع العراق ومقاومته وشعبه بفخ الفراغ الهدام .

والمشـروع الجديـد كـان سياسـيا يعكـس مصـالح دول الجـوار ، فـإيران تريـد عراقـا مسـتقرا وصـديقا وبابـا حديـديا فـي وجـه أي تهديـد محتمـل مـن إسـرائيل أو دول الخليج،وهـذا لا ينفـي أبـداً مصـالح ومطـامع إيـران بـالعراق، وأمـام نجـاح حـرب تمـوز التـي خاضـها شـرفاء المقاومـة حمـاهم الله وبـارك لهـم بنصـرهم ، سـقط الطـرف الآخـر مـن هـذا المشـروع والمضـاد لسياسـة خـط المواجهةوالـذي تتزعمـه نظريـة التفـاوض لاسـترداد الحقـوق،من هنـا نشـأ بـين الطرفينلغـة الأحقـاد لا سياسـة جلـب المصـالحو تغليبهـا علـى المفاسـد فـانطلقوا كـل معسـكر المهادنـة والاستسـلام للأمـر الواقـع أولا عبـر إعلامهـبحملات تكفيـر لكـل الأقليـات التـي ضـمن لهـا الإسـلام منـذ عهـد الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم حـق حقوقهـا كاملـةً غيـر منقوصـة ، بمـا فـيهم سـكان دولهـم مـن طوائـف أخـرى غيـر السلفية،لإفشـال المقاومـة وزجهـا بصـراعات طائفيـة وداخليـة لتفريـغ نصـرها الاسـتراتيجي مـن مضـمونه الإنسـاني والإسـلامي والقـومي العروبـي ، ناهيـك عـن تبـادل الاتهامـات بـدعمٍ خفـي لإسـرائيل بـين حكومـات الطـرفين ، كـل ذلـك كـان بتخطـيط غربـي للإيقـاع بـين دول المنطقـة ، وإشـغالهم عـن التنميـة بحـروبً عبثيـة تضـعفهم ، بهـدف التحضـير لملـئ الفـراغ الـذي سيحصـل بخـروج الغـزاة مـن العـراق ، فبـدؤوا هجمـة شرسـة علـى حـزب الله وسـورية بـأدوات الطـرف المهـادن والميـال للتفـاوض مـع الصـهاينة ،لكسـر ظهـر الإيرانـي كمـا يزعمـون وتحطـيم مرتكـزات المشـروع العربـي الإيرانـي لمناهضـة الاسـتعمار،وكنا نقـول لهـم ،

إيـران أمـامكم اكسـروها بأرضـيها ، لا داعـي لاحـتلال أراضـينا بحجتهـا، أوإحـلال مشـروع التركـي والإسـرائيلي بـأدوات مـن دول و منظمـات عميلـة للغـرب، لكسـر الشـعوب والحكومـات المقاومـة للاحـتلال الصـهيوني، ولمـا فشـل المشـروع المتشـدد بتعبئـة مكـون كبيـر وهـام مـن شـعوب دول المقاومـة (المسـلمون السـنة) بـدأ بتخـريج السـجناء و المجـرمين والإرهـابيين مـن سـجون العـالم ودفعهـم باتجـاه سـورية والعـراق ولتهديـد أمـن المحروسـة (مصـر)، مـع أن الأقليـات كانـت تحتـرم المملكـة السـعودية وتعمـل لكسـب رضـاها وودهـا فانقلبـت شـعوب المنطقـة كلهـا لتقـف ضـد المشـروع التفتيتـي المنطلـق مـن صـحراء أبـو جهـل وانقلـب ود الأقليـات للسـعودية إلـى عـداء فخسـرت المملكـة التـي لا نتمنـى لهـا إلا كـل خيـر، صـداقة الأقليـات وثقـة الأكثريـة بحكمتهـا وشـجاعتها، وأصـبحت تعبـد الطريـق ليـزداد الكسـب الإيرانـي وتتضـاعف النكسـات والهـزائم بالسـعودية -التـي أحبهـا كعربـي ومسـلم - ومـا كـان مـدعاة للقلـق أصـبح أمـرا واقعـا ، فالعـالم أصـبح أمـام معسـكرين بالمنطقـة رافـض يشـمل عـدة دول وينـادي وينظـرُ لتحريـر فلسـطين والثـاني سـلفي متشـدد ينـادي بسـفك دمـاء النـاس ويعتبر إيران عدوا أساسياً بدون حكمة.

الأبطال لم يولدوا للحياة بل للبطولة

(القدر رحمة من الله أياً تكن نتائجه وتفاصيله)

بين باريس وبيروت 2012

استيقظت لتقرأ جريدتها الصباحية ، وجدت الياسمينة ذابلة فسقتها من ماء بحرة البيت العربي، رن جرس الدار ، دخلت الخادمة ومعالم السعادة على وجهها ، فرغم أنها لا تجيد القراءة ولكنها أحبت شراء هدية لسيدتها، فوجدت صورا لصابر على إحدى المجلات الأدبية .

أخذت المجلة ولم تنتبه لصورته إلا بعد أن قلبتها ، كان العنوان سعيدا والتفاصيل مأساوية ، فالعنوان كان (أسرع طريق للخلود).

لقد تبين أنه كان يتعالج لدى أحد الأطباء اللبنانيين الخبيرين بعلم الطاقة والأعشاب لعلاج السرطان ، ثم ساءت الحال فسافر على جناح السرعة إلى باريس للعلاج.

دخلت غرفتها و أغلقت الباب ، تمالكت أعصابها ووجدت البكاء معيبا ، فالقدر رحمة أياً تكن تفاصيله، ومع ذلك توقف تنفسها واضطرب مزاجها ، حاولت البكاء فعجزت ، كسرت الأواني، سألت الخادمة مالخبر؟

قالت لها : عودي غدا اليوم عطلة ، ولكن - قاطعتها نفذي ما قلت بسرعة قبل أن تخرجي، لا أريد اليوم رؤية أحد .

لقد كتب على صفحة المجلة الأولى: (لكل رجل من اسمه نصيب، صابر يقهر بصبره المرض الخبيث).

أخذت عيونها المدورتين حماما بكائيا ملحميا، أثار شجرة الياسمين وعصفور الجيران و العريشة الغافية على سطح المكان وسقطت قشور من الحائط .... حتى الحائط كان يبكي معها ، ما أجمل الدمع المتحد مع كل ما حوله! لقد بكى البيت العربي بكل أجزائه وجيرانه وتفاصيله معها ، لكأنه حصان عربي أصيل يجر فارسه إلى داره كي يعالج من أثر صدمة ... تلقح العروبة البيت والحصان فيحمل أصالتها ، عجيب هذا الإنسان الذي لا تؤثر به العروبة وهي تجري في رواسب دمه ومورثاته .

العروبة تزرع الأصالة في كل شيء إلا الأعراب تعجز عن وصفهم حتى .

سألته مساء، كيف الحال؟ فرد بيروت جميلة!

قالت : لقد عرفت أنك بباريس تتعالج وكم وددت لوسمحت لي أن أكون معك حتى مرضك تواجهه وحيداً وأنا قربك ، آه منكم معشر الرجال!

أغلقت السكايب والغضب والحب والتشنج والخوف اقتسموها أربع أرباع ، ربع يغضب حزنا على الحبيب وربع ثانٍ يحب رجولة الحبيب وربع ثالث يتشنج من فكرة موت الحبيب وربع رابع يخاف ألم الفقد والغياب الأبدي .

طلبت رقم المجلة التي كتبت عن مرض صابر ، ثم بعدما تبينت خطورة الموقف ، أخذت اسم الطبيب المعالج والمستشفى وفندق إقامة صابر .

ولم تنم ليلتها ، فقد حجزت بالساعة الرابعة صباحا لباريس ، وظلت تبحث على الشابكة عن أعراض وأسباب السرطان وأخر اكتشافات العلم لعلاجه..

صعدت الطيارة ، وألمها يطير فوق الطيارة ، لم تكن تشعر بشيء إلا بالتشاؤم والخوف من المرض ونتائجه على صحة صابر.

غفت قليلا فتهيأ لها ، كما لو أن الطيارة نعشها يمشي بالهواء ليعانق كبرياء وحرية رجال المقاومة ، شعرت كما لو أن عمر المختار يمسك بيديها ويشد على كتفها و يخبرها بأن الأبطال لم يولدوا للحياة بل للبطولة (القدر رحمة من الله أياً تكن نتائجه وتفاصيله)وصلت المطار وقد تذكرت إحدى أهم كلمات عمر المختار في حلمها :

(الخلود للأبطال بعد مماتهم لا في حياتهم).

فنحن العرب لا نكرم إلا الموتى لأن حسد الأحياء من الأبطال الأحياء يؤخر تكريم الأبطال (ما ازدري نبي إلا في بيته ووطنه) لعل الإنجيل ثاني أهم الكتب التي تصف العرب .

كان مطار باريس ، حقلة زهرٍ يفوح شذاها في كل مكان أو بركة عطر تجتذب الروح إليها ، وزجاج الردهات وورود الزينة والموظفات الفاتنات والموظفين الأنيقين ، قالت : إن

أفضـل فنادقنـا ذي الخمـس النجـوم لـيس بفخامـة ورتابـة هـذا القصـر المسـمى مطـار بـاريس ، مـع أن الإنفـاق العـام عنـدنا أعلـى ولكـن الرتابة والثقافة لا تشترى بأموال العالم.

جلسـت وقـد تناسـت همهـا فـي قهـوة فواحـة بقلـب المطـار . كتـب على أفخم أقسامها بالفرنسية

(قهوة عربية أصيلة) .

قالـت ربـاه حتـى الغـرب يضـع خلـف كلمـة عربيـة كلمـة أصـيلة ، فهـو ينسـب الأصـالة للعروبـة ، نعـم نعـم العروبـة أصـيلة ، ليـت الأعـراب يـدركون وليـتهم يؤمنـون ولكـنهم كمـا قـال الـرب الجليـل فــي محكـم التنزيـل : (وأجـدر ألا يعلمـوا حـدود الله) أفٍ لأمــة يمسك جهالها أمر مستقبلها ومصيرها .

اسـتقلت السـيارة ومـرت بشـوارع بـاريس التـي تبـدو وكأنهـا بيـوت أثريـة ، تنشـر بضـائع أثريـة للسـواح ليشـتروها ، ولـم تنتبـه للكثيـر مـن التفاصـيل البعيـدة فـالطريق الجميـل أسـكت جـوع بحثهـا عـن الجمــال ، مــرت بشــارع الشــانزلزيه الطويــل والعــريض ،ولكــن صــابر كــان يســرق ثقافــة تــذوق جمــال الأمكنــة منهــا ، دخلــت المشـفى وتاهـت وغامـت رؤيـا عينيهـا ، صـرخت ربـاه ، صـعق صــابر .قبلهــا وجلســت هامــدة بــين يديــه ، زارهــا الطبيــب وهــي تتجمـد، لـم تكـن تهـدأ حتـى يعـود صـابر للجلـوس بقربهـا، اسـتيقظت وصابر يغط بنومه قرب سريرها .

قالت كيف لم أنتبه قبلا ، فوجه صابر أسمر كالقهوة العربية وريحه كالياسمين العربي وأصالته كالحصان العربي كل تفاصيله عروبة .

قال لها وعيناه مغمضتان وقد بدا أنه لم ينم ، لا تخافي ياحبيبتي، فعمري مكتوب وقدر الأبطال حياة البطولة لا بطولة الحياة ، تذكرت كلمات طيف المناضل الكبير عمر المختار

عادا معا في اليوم ذاته لبيروت على متن طيران السورية ، وقد أخذ إبرة العلاج واطمأن أن الوقت متسع أمامه لينهي رسالته علها تصل للأجيال القادمة.

المقاومة كانت بجلها ردة فعل

(الحرب ليست لعبة والسلام ليس أمنية ومابين اللعب والأماني تضيع أمم وتولد أخرى)

بغداد 2004

وبعد الراحة الطويلة التي استمرت ثلاثة أيام في بيروت ، طلبت منه ، إكمال تراثه البطولي ومعلوماته القيمة عن المقاومة العراقية، فأكمل متابعا سرد إفادته عن تلك الفترة.

دخلت مدينة بغداد ، التي كانت ولازالت معشوقي الأبدي ، تخيلت أبو جعفر المنصور على صهوة حصانٍ كميت ، يحدق بي ويعاتبني ، يقول لي أهذه المدمرة مدينة السلام ، ورثتم عنا بلاد عزيزة فكيف قبلتم الذل والتخاذل؟

لم أجد جوابا استفقت لأجد نفسي أفتش بعناية فائقة ، اخلع ثيابك أفلتوا الكلب ، أين بطاقتك الشخصية ؟ كان المترجم لقوات البغي .

اعتذر قائلا هذه المنطقة الخضراء ، فقلت لم نكن محتاجين منطقة خضراء فالعراق على الدوام كان أخضرا ولكن احتلالكم لم يترك به أخضرا ولا يابس نظرت الجسور المدمرة والطرق المحفورة وأصوات الانفجارات .

حزنت أشد الحزن ، فاقتراب الفرات من دجلة ، لم يكن إلا زواجاً بين نهرين ، لتكون بغداد كحدقة عين وطفل بار بين النهرين .

الطبيعة تحمي بغداد والأعراب يدمروها ، سحقا للأعراب!

ريـــح المتنبـــي وشـــعره واعتـــداد العـــرب بأنفســـهم ، ومحبـــرة دار الحكمـة تخيلـت كمـا لـو أنهـا هبـت كطـاعون يجتـاح كـل شـراييني ، كـل العـراق ينـبض عروبـة ، وهـذا الأمـر لا يحتـاج لـذكاء ونباهـة كبيرة .

غنيـت مـن عـذابي ومـن حزنـي علـى أشـلاء العـراق التـي أصـبحت فـي كـل دول العـالم ، ودخلـت أحيـاء الأعظميـة حيـث يتركـز أنـاء طـائفتي ، وزرت أحيـاء الشـيعة والكـرد والتركمـان والشـركس والحقيقة لمست رغبة جماعية بالخلاص من الاحتلال.

ولكـن المسـتعمر نجـح بإدخـال الوبـاء الطـائفي فـي عقـول الكثيـر مـن المقـاومين ، وخاصـة المنتمـين للنظـام السـابق والمـدعومين مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة بغطـاءٍ إقليمـي وعربـي للأسـف ، والهـدف المعلـن كـان بتـر اليـد الإيرانيـة فـي العـراق ، وتحولـت المشـكلة مـن مشـكلة مـع محتـل لمشـكلة مـع جـارٍ قـويٍ وعريـق ، إذ بـدأ المسـلمون المتشـددون ينظـرون للمسـلمين الشـيعة والأكـراد ومخالفيهم من الإسلام السنة على أنهم أتباع إيران ويحل قتلهم .

لقـد أدخلـت المخـابرات الخبيثـة للغـرب وللصـهاينة العـرب كـل العـرب فـي حـرب داحـس والغبـراء الجديـدة ، ولكـنهم أخـذوا يهـدؤون مـن الحـرب ويحولوهـا لعنـف طـائفي ويقـودوا المجـرمين مـن دول العـالم تحـت مسـمى حـرب المحتلـين ومـن ثـم يتلقـاهم الملقـب بالشـيخ زيفـاً للإسـاءة لرجـال الـدين والعلـم ، و اسـمه الحركـي أو شـهرته ب ((حـرب)) ويبـث الأفكـار المتشـددة

والتكفيرية بعقولهم وهكذا تحولت بندقية المسلم لصدر المسلم و أصبح نخوة العربي خنجر بظهر شقيقه العربي...

وهكذا لم تكن عملية زراعة الإرهاب بعيدة عن عين الاحتلال ، بل وبمباركة منه ، بعض دول المنطقة ظنت الحرب لعبة وتراخت كون الدم النازف بمعظمه عراقيا واللعب بالدماء أقذر وأخطر أنواع الحروب ففقدت المنطقة كاملة الأمان والاستقرار تدريجياً، وإن كان لا ذنب ولا جريمة لبعض الدول العربية إلا وقوفها متفرجة على ذبح العراق ، لكان كافٍ لتجريمها إنسانيا وقومياً.

وبدأ التنظير والمؤتمرات لبحث سبل السلام والاستقلال ولكن أحدا لم يكن جادا ولا ضامنا للسلام ، بل كانت بعض دول التسول ، تساعد المحتل على البقاء ، وتثير فزاعة الهلال الشيعي لتكسب أموال الخليج ورضا إسرائيل وتضعف محور المقاومة.

ورغم كل ما قلته لك ، فشل الاحتلال ودول التسول لأنهم لم يخوضوا الحرب بجدية ولا تقدموا للسلام بشجاعة، فضاع ما بقي لهم وتحول العراق بمسلميه السنة والشيعة معارضا للاحتلال ودول الفتنة والتشدد والتسول ...

لكن لم تؤت المقاومة أكلها لأنها كانت ردة فعل لا فعلا أصيلا بسبب التشويه الذي نالها من دول التكفير والتشدد ، فحتى عادت بندقيتها لقتال التشدد والاحتلال ، كان أغلب العراق قد دمر وهجر سكانه .

وهنا قمت بدور كبير لدعم القوميين لدرجة كادت تودي بحياتي، إذ كاد أمر قتلي يصدر من المتشددين ، لولا استدراكي وعملي بالخفاء لكنت بين شهداء المقاومة .

زرت كبير عشائر المنطقة الوسطى ، وسيف مقاومتها وعميد العشائر ، وقد تحولت بندقيته صوب العراقي المسلم لا الغربي الغازي للبلاد ، سألت أتباعه أن يبلغوه رغبتي بلقائه وبعد شهر تم السماح لي بلقائه .

سكن العشيرة يبدو وكأنه موقع تصوير لمسلسل هوليودي من العصور الوسطى ، فطرقه بين رملية وحجرية وتندر البيوت العصرية ، تنتشر الخيام كقباب صخرية تملأ سهلا واسعا أمامنا، الأغنام والبشر يسيرون جنبا إلى جنب ، بندقية الرجل وخنجره وسيارته أهم من عائلته وماله واسم عشيرته يفوق البطاقة الشخصية بأهميته للتعارف فيما بين البدو ، الكل يسعى لرضاشيخ العشيرة ، وصلنا بيت الشعر الأجمل والأكثر كثافة بحضوره ، خلف بيت الشعر أربع خيمات يحرسها كثير من الرجال المدججين بالسلاح، الأولى كانت لنساء الشيخ ويبدو أنهن من مختلف الأعمار وفوق التسع نساء ، والثانية للماشية والثالثة للمال والذهب والرابعة لنوم الضيوف.

دخلت وقد امتلأ أنفي بغبار الجو وانتشر عطاس حساسيتي ليملأ بصوته الخيمات الأربع المحيطة ولأسمع ضحك متواصل، شعرت وأنا أرى والأطفال وبعض النسوة والرجال يتحلقون قرب بيت الشعر ليروني وكأني نجم سينمائي كبير .

انتظرت ما يبرد حرارتي ولكن جاءتني قهوة مرة مقذعة وحارة، فشربت الكوب وأغمي علي من الحرارة ، ولم أستيقظ حتى اليوم الثاني ، وجدت إبريقا من الشراب وقد زالت حرارتي ومطعما طيبا ، الحقيقة كرمهم لا يوصف ولو قدر الله لعقول البدو أن تكون كبيرة بمقدار كرمهم ، لساد العرب سلم الإنجازات العلمية العالمية في مختلف الميادين .

دخلت على الشيخ مساءا ، سألني بما زودك القوميون ، فكتبت كوني أمثل الخرس بين القوميين ، بندقية العربي ضد المحتل فقط .

فقال لي لكن بعض العرب الشيعة يريدون حكمنا باسم إيران والتسلط علينا ، فكتبت لستم ضعفاء وهم ليسوا أغبياء ليستخفوا بقدرتكم وأهميتكم في تدعيم استقلال ووحدة العراق .

كتبت سائلا لما تقاتل المحتل : فقال لي قصة طويلة ، فأصررت عليه أن يرويها فنادى ثلاثة رجال وطلب من كل واحد أن يذكر لي سبب مقارعته للاحتلال ، الأول كان شيخا أشيب مهيب ، يبدو عليه التقدم في العمر والعز والوجاهة، يضع على صدره صورة لثلاث فتيان وفتاة .

كتبت له على ورقة ، لماذا تقارع الاحتلال ؟

قال اسمي حرب ، أنتمي لقبيلة سين ، وكنت أعيش آمنا بعراق ما بعد الاحتلال ولكن لم أكن مرتاح ، وكنت ككل العراقيين متوجساً خيفة من الاحتلال ، بقيت طيلة حياتي أدرس الآثار وبنيت متحفي الخاص بي ، سعادتي كانت فوق أي وصف

بالخلاص من النظام البائد ولما جاءت شركة حراسة أمنية للأنبار أدركت أن فيها إسرائيليين بحكم أننا نتعلم العبرية كمختصين بآثار الشرق القديم والكارثة أن طيران أميركي قام بقصف المتحف بعدما نهبه الإسرائيليون للتغطية على جريمتهم، صمتت بعدما اعتذر لي الحاكم العسكري ووعد بالتعويض ، ثم دبروا محاولة لاغتيالي ، حصدت أرواح عائلتي ولم يبق غيري لأنتقم فعدت لعشيرتي طالباً للثأر، الثاني قال اسمي عصام ، تعرضت للاعتقال والاغتصاب والتعذيب بشتى الوسائل في معتقلات الاحتلال ، والحقيقة أن صمته كان يدل على إنسان يعاني مشاكل نفسية ، فحزنه وهزاله ورجفان يديه و تلعثم نطقه ، فقال أردت أن أنتقم وأن أحرر كل المعتقلين .

الثالث قال: اسمي هادي ، كانت زوجتي أميرة جميلات العراق كله، ولما كان الأذناب في الموصل يرون جمالها ويسعون إليها بكل الوسائل ، انتظروا مغيبي عن الدار لأعود فأجد ابني وزوجتي مقتولين بعد حفلة اغتصاب جماعية ، فعدت لعشيرتي طلباً للانتقام.

وهكذا كما رويت لك لم تكن مقاومة بأهداف تتجاوز أهدافاً شخصية ، وهذا ما ترك أثرا كبيرا على المقاومة وجعلها بموقع الرد لا الفعل من ناحية وجعل قيادتها للثأر والمشاعر الغبية لا للحكمة والمشاعر الوطنية ، فكل شعور شخصي أو ثأري في القضايا الوطنية هو بأقل تقدير شعور غبي إن لم نقل عميل لصالح عدو سواء كان بحسن نية أم بسوء نية

تناف بين المسموع والحقيقة

(الشعب هوية الأرض)

بيروت 2012

كلنا نشعر بأننا لا نزال أطفالا ، لأنها المرحلة الوحيدة في حياتنا التي نلقى فيها حبا واهتماما كبيرا ومن الجميع بدون مقابل ، هذه الحال حال اللبنانيين وبخاصة سياسيهم ، فمراهقتهم تتجاوز أحيانا مقدار التوقع ، وما خلا العقلاء ألقليلي التأثير في مجريات الأحداث لبنانيا ، لا يمكن أن ترى نضوجا في قرار أو إدارة.

تتلقى بيروت وساستها الدلال ، فإيران لها مدللوها وللسعودية مدللوها ولفرنسا مدللوها، ومن هنا كانت الطفولة اللبنانية مستمرة مدى الحياة ، وأكاد أجزم أنه لولا قنوات الإعلام اللبنانية وبرامجها الحوارية ، لكنت كسرت تلفازي منذ زمن طويل .

نزلت من الطيارة في مهبط مطار الشهيد الحريري ، ولا زلت أحدثها عن بيروت ، دخلنا بسرعة كبيرة السيارة ، رحب بنا السائق اللبناني بطريقة شعبنا العربي المضياف الكريم ، وذهبنا للفندق ، حجزت غرفتين لم أشأ أن أراها تتألم لنوبات المرض الجميل الذي لا يفارق مخيلتها كلما تذكرتني أو نظرت لي .

خرجنا ليلا نتجول ببيروت التي لها سحر الشرق الساكن في أحلامي وقصص ألف ليلة وليلة ، كانت بيروت بيروتان ، ليس لأن نهرا ثلثها كالخرطوم ، ولا لأن فيها قوميتان مختلفتان

كقبــرص ، ولا لأن جــدار الفصــل العنصــري قســمها كالضــفة الحبيبة علـى قلبـي، إنـه أثـر الشـعب وقلمـا يعطـي الشـعب مدينـة كـل صـفاته، بيـروت مقسـمة عرفيـا وسياسـيا ومتنوعـة مـذهبيا ، لكـن لا أبــالغ إن قلـت أنهـا أكثـر المـدن العربيـة توحـدا من ناحيـة التفـاف شــعبها حولهــا، مشــينا بشــارع الحمــراء ، واشــترينا منحوتــات للسـيدة الطـاهرة المطهـرة والمملـوءة بالنعمـة مـريم عليهـا السـلام ، زرنــا بيـروت الشـرقية وبيـروت الغربيـة ، أحسسـت وكـأني محمـد الفــاتح أتلهـف شـوقا لغـزو قسـطنطينة لأوحـد جزئيهـا الآسـيوي والأوربــي، ضـحكت وقالـت لـذلك يخطـب صـغار ساسـتها وكـأنهم يقـاومون الإسـرائيلي ويوقفـون تمـدد الإرهـاب ، بينمـا تـتكلم أفعـال كبارهـا محليـا وعالميـا بمعـارك الشـرف، رغـم كـل صـغر بيـروت إلا أنهــا تبقــى فــي القلــب كفاصــلة بــين الماضــي والحاضــر ، أو كســجل بصــفحتين إحــداها فــي المصــحف الشــريف والأخــرى بالإنجيـل المقـدس ، كأنـك تخـرج مـن أسـواق أعتـق مدينـة مشـرقية لتـدخل أحـدث محـلات تجاريـة فـي أحـدث مـدن الغـرب ، لكأنـك فـي مغــارة العجائــب هــو ســحرها المتجــدد عبــر الأجيــال، هــي متحــف يجمــع مــاض بحاضــر بمســتقبل، تركيبــة عجيبــة لا الماضــي ولا الحاضـر ولا المسـتقبل يسـتقيل بهـذه المدينـة، ورغـم تعـدد طوائـف شـعب اللبنــان ونظامــه الطــائفي و أعرافــه الطائفيــة ، إلا أنــك تجـد حائطــا مشـتركا يعتليـه المسـجد برفقـة الكنيسـة ، وكأنهمـا يرقصــان علــى حــائط الوحـدة الوطنيــة ترتيلــة مزمـور الخــلاص ، فشــبابها ملــيء بالحيويــة والانفتــاح ،بكــل العــالم تحتــاج دلــيلا ســياحيا إلا بيــروت فالنــاس بكــرمهم وحــبهم للغريــب يعوضــوك عــن أفضــل دليــل يمكــن أن تــراه مــع أنهــا أصــغر مــدن المنطقــة إلا أنهــا

انتصرت لكرامتنا في 2006 وفعلت ما عجز عنه الوطن العربي في الكثير من أجزائه بهزيمة الصهاينة.

باختصار حكمها عرف طائفي وهي أبعد مدن العالم من حيث الشعب الذي يقطنها عن الطائفية.

بعد أن أنهيت ما سبق كتابةً ، أعطيتها أياه وطلبت منها أن تضعه في كتابها عندما تتحدث عن زيارتنا لبيروت .

تودعنا ذهبت غرفتي ، قتلني الألم ابتلعت المرارة وتجرعته برضا كبيرو فتحت قميصي وقلت مرحبا بالموت والحبيبة بجواري ، على الأقل سأستحم ببحر دموعها وقبلاتها.

في الصباح جاءت بفطور لبناني شهي ، وأطعمتني بيديها ، أخفيت ألمي قدر المستطاع لينتهي بي الأمر بالمستشفى.

سألتها ؟ أين أنا ؟ قالت بالمكان الصحيح، قلت لها احضري دفترك وسجلي بقية حكايتيترددت ولكنها تحت إصراري قبلت شرط أن لا أجهد نفسي.

إصلاح ذات البين

(المستنقعات الطائفية أخطر على المقاومة من فناء نصف مجاهديها)

الأنبار نهاية 2004

مـن الـذي يعطـي نغمـات الآلات الموسـيقية دلالتهـا ، ألـيس الإنسان؟

لمـاذا كـان العـرب قـديما يقرعـون الطبـول للحـرب واليـوم للأفـراح؟ أليسـت ثقافـة المجتمـع مـن غيـر مـن وظيفـة نفـس الآلـة الموسـيقية عبر الزمن.

مـن الـذي جعـل المزمـار علـى الـدوام آلـة الراعـي المفضـلة، ثـم لمـاذا نسـبت حكمـة داوود إلـى المزاميـر؟ أليسـت مهنـة كـل الأنبيـاء تقريبـا كانـت رعـي الأغنـام مـا خـلا داوود الحـداد وإدريـس الخيـاط والمسيح النجار عليهم قدس أقداس الله وسلامه جميعاً.

مـابين قـرع الطبـول وعـزف العـود فـارق كبيـر شـكلته نغماتهمـا المختلفـة إضـافة لتصـنيفاتنا ولـدور العامـل الزمنـي والثقـافي والمكاني للمصنف.

ومـن هنـا بـدأ حوارهمـا ، سـألته : مالـذي ترومـه مـن كلامـك عـن الموسيقا وآلاتها؟

فقـال : علينـا أن نغيـر مفـاهيم كثيـرة ، الأذن العربيـة تـم تسـليمها لقليلـي الأمانـة ، فحولـوا السـمع العربـي مـن رصـد وتحـين الفرصـة لتحريـر القـدس إلـى الغـوص بالخلافـات العربيـة العربيـة ، كمـا

تغير مفهوم قرع الطبول ، سنغير مفهوم الفرقة إلى مفهوم التوحد ولم لا!

وكما كان أغلب الأنبياء رعاة للغنم وللشعب ، سيكون على قادتنا وساستنا أن يتعاملوا معنا على أننا رعية ، نحتاج عناية فائقة ودائمة ، لأننا معرضون للأكل من قبل كلاب القطيع وليس فقط من الذئاب البرية.

كيف لنا أن نصنف بني البشر بين كافر ومؤمن ؟ ونحن لا نملك أشكالا أو أفعالا أوحتى لغة مختلفة تميزنا عن بعضنا البعض ، فلا المسلمون السنة طبول حرب ولا المسيحيون مزامير ولا المسلمون الشيعة ألحان عود ؟ الكل بعينين وفم ولسان وجسد لا يختلف عن جسد الأخر من حيث الشكل العام والوظائف .

قالت صدقت ، وكن صبورا معي ، وعد لي لدورك الكبير في توحيد المقاومة ضد العدو.

في القبيلة التي زرتها بالأنبار

وبعد أن أجابني ضيوف الشيخ، استرحت قليلا، ثم سألتها كاتبا على الورق طبعا ، لمن تلك الخيم البعيدة ، فقال : هذا هو مربط الفرس ياصديقي.

نحن قبيلة عربية قديمة كنا قبل الإسلام نصارى ، جاء الإسلام أسلم كثير منا وبقي منا نصارى، ولم تكن هناك مشكلة ، ولكن مع فشل القوميين في ملء الفراغ الناجم عن سقوط النظام السابق ، واختراق المخابرات العالمية وبالأخص الموساد ، تحولتأكثر المفاهيم اعتدلا وعروبةً ورحمةً إلى تأييدٍ للتشدد ،

ولجعل الوطن كصنم ، ولتغيير العدو ، إذ أصبح ابن العراق، هذه الخيم للمتشددين من عشيرتنا ، وخيمنا فيها المسلمون شيعة وسنة وأما مسيحيوا قبيلتي سكنوا المدن ونتواصل معهم ليؤمنوا لنا السلاح والمال ، ما حصل غزوات بالجملة من أبناء قبيلتنا المضللين والساكنين في تلك الخيام علينا بحجة أننا نأوي المسلمين الشيعة.

تركت المضافة وخلدت للنوم وخطرت ببالي فكرة ، أرسلت لأحد أتباع شيخ البندقية عمر، أن يسعى لجمعي بسكان تلك الخيام.... لم تطل الأيام حتى كان الوعد وبأحد أوكار التشدد وبصوتي دون أن يروني تم الاتفاق على أن نلتقي ليلا ، اقتادتني سيارة ، وقطعت صحراء كبيرة ، المفاجئ أن الحواجز الأمنية الأمريكية ، سهلت مرور المتشددين ، ولم أفهم السبب حتى وقعت الفتنة السورية ، كانت فتنة لأنها جاءت كحصيلة تراكب مشاكل متعددة ، حولتها لأزمة عميقة في الفهم لموضوع الهوية والانتماء و الدولة ، لقد عرت الفتنة اختلالاً واضحاً في تطبيق المفاهيم وتفسيرها على أرض الواقع، المهم دخلت بيتاًمظلما وأطفأت الإنارة حتى لا يعرف المتشددون أني ذلك لقومي الذي يستضيفه شيخهم الكافر بحسب عقيدتهم ، دخلوا الغرفة المراقبة من قبلي بأحدث الكاميرات التي تبين لي لاحا أنها إسرائيلية ، بدؤوا بعد السلام . شيخ القبيلة الكافر يستقبل قومياً سافلاً ، وقد اتفقنا على قتله شر قتلة ، طبعا المقصود بالقومي كان أنا ، فقلت لهم : لا ، شيخنا وأميرنا يقرئكم السلام ويقول شيخ قبيلتكم يعمل معنا ونحن كلفناه باصطياد القوميين وجرهم للفخ ، عودوا للعمل تحت إمرته ، خرجوا وقد اطمأنت

قلوبهم ولكن قلت لهم لا تذهبوا حتى يدعوكم شيخ قبيلتكم لمأدبة صلح ، وإياكم وحديث الفجار القوميين ولا تقتلوا أحدا منهم، فالوقت الآن لجمع الأموال والسلاح، ثم سقطت فجأة صاعقة فكبروا وهللوا بركات الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم واسمه الحركي أو شهرته ب ((حرب)) لهي أشد قرباً لطبع الدول الاستعمارية وسياستها في شن الحروب، وزرع الإرهاب ، وإلصاق التهمة بديننا الحنيف، حلت علينا لعنة التكفير و القتل و الخراب ، لعنة اغتيال الأمة وكره تاريخنا ، لعنة و فتنة ضرب الرموز لنكون أمة بلا رأس ، وهل تخيف أمة لا رأس لها!

وهكذا خرجوا والكل مقتنع تماما بأن أميرهم الملقب بالشيخ زيفاً للإساءة لرجال الدين والعلم ، و اسمه الحركي أو شهرته ب (حرب) لهي أشد قرباً لطبع الدول الاستعمارية وسياستها في شن الحروب، وزرع الإرهاب ، وإلصاق التهمة بديننا الحنيف، أدرى بمصلحتهم ، وبأن عليهم مصالحة شيخهم...

وبعد أن صار الوقت فجرا ، غادرت مع من أتى بي لخيام المتشددين ، باتجاه خيمة شيخ العشيرة....

رحب بي مستفسراً ، أين كنت ؟ قلت عرضت على خيام الضالين من قبيلتك دعوة لمأدبة باسمك للم شمل القبيلة تحت زعامتك.

استشاط غيظا ولكنه تمالك نفسه ، وقال لي : لن يأتوا إطلاقا.

قلت له : مخطئ أنت يا سيدي: سيأتون.

فقال : سأعد وليمة يوم الجمعة بعد صلاة الظهر ، فقبلت وأبلغت المتشددين عبر وسيط بدعوة يوم الجمعة للمأدبة ، للدلالة على احترام أرائكم الدينية.

بالرغم من ثقته بأنهم لن يأتوا ، كونه ، لا يعلم أني أعمل بهوية مزدوجة مع طرفي المقاومة العراقية ،إلا أنني أكبرت شجاعته واحترامه لضيوفه وللتقاليد الأصيلة.

فردوس المحبة

(العادة أم الحاجة أم المبدأ ، قل لي أيها كفته أرجح لأخبرك أين أنت)

دمشق 2013

تماثلت المؤشرات الحيوية للاستقرار ، فطلب صابر منها ، أن تعود به لدمشق استكملت إجراءات الخروج من المستشفى ، وجاءت بسيارتها وصعدا فيها ، تولت القيادة، انطلقا في الثامنة مساء..

عبرا الحدود باتجاه سورية الأم ، قال صابر : لبنان وسورية في السماء والأرض هوية واحدة وشعب واحد بدولتين.

قالت : صدقت .

دخلا بيت الياسمين ، كانت الخادمة تواظب على سقاية ورود الدار وتنظيفه وكم سعدا لمنظر الياسمين ، وللبحرة في فناء الدار ألف حكاية تحكيها ، هبت الريح تحمل رذاذ الماء، أحسست ، كما لو أنه هب يقبلنا، ولأكوام الحنين المكتنزة على

جدران البيت وأشيائه ألف عتب وعتب ، كل البيت هب يسلم علينا.

جلست أعد لصابر عصير الليمون الذي يعشقه ، وفرشت طاولة الخشب المصنوعة من عام 1900 ، كل البيت متحف تعود معظم حيطانه لعهود مختلفة فحائط مملوكي وحمام عثماني وغرفة بنيت بعهد المحتل الفرنسي، وكأنه فراشه زاهية الألوان...رحل المحتلون عبر التاريخ وبقيت سورية حقيقة ناصعة لا تقبل التشويه أو الطمس أو التحول عن الهوية العربية.

وضعت الكوب على الطاولة، ريثما بدل ثيابه، كانت قد سقت الورود ، ففاحت ريح الفل والياسمين ، جلست قبالته ، كان الصمت جمل يسير بصبر كبير في صحراء خوفهما، فكلاهما متخوف ولا يريد علاقة محرمة.

قالت في سرها ، آه يا كوب الليمون ، هو يشربك وأنا غارقة في قعر محبته وتمنيه ، ردت على اتصال زوجها ، انفعل صابر دون أن يتكلم ، ولما أنهت المكالمة سألته : أتغار أيها الحبيب، قال : ليست قضية غيرة فحسب، ولكنك تحبينه ، فقالت : بل اعتدته ، فرد وأنا أجابته : أحتاجك وكيفما تريد أنا طوع بنانك ، قال العادة شيء يحصل بشكل مصادف أو موروث عن أهل أوبيئة والحاجة إما جسدية أو نفسية وحين ينتصر أحدنا على حاجاته الجسدية والنفسية تتحول لحاجة روحية ترضي الجسد والنفس بإطار يرضي الله والضمير وحينها فقط تتحول مبدأ، إن كان حبك له حاجة ، فأنت في أقل أطوار الفكر أصالة، فالعادة

المتضـمنة للغريـزة ، هـي مـن تجعـل الفـأر يخـاف القـط ودون أن يعلمه أحد.

والحاجـة أيـا تكـن مـا لـم تكـن مصـونـة بالقـانون وبعيـدة عـن الأنانيـة وأذى الجميـع فهـي أيضـا حيوانيـة، فمـن يحتـاج كـوب مـاء للشـرب ليس من حقه بعد أن يلبي حاجته أن يحجز الماء عن محتاجيه.

أمـا العـادة والحاجـة إن سـارتا فـي خـط المبـدأ المحكـوم بـالأخلاق والضـمير . فلـن ترضـى إحـداهن بخـداع زوجهـا فقـط لأنهـا اعتادتـه، كـان كلامـه كالبـارود وأشـد قـوة ووقعـا عليهـا ، دخـل لينـام ولم يزل غضبه مشتعلا.

تركتـه وكفنـت ليلهـا بـدموع حارقـة ،هـب النسـيم طـارت قبعتـه وارتقـت أعلـى درجـات السـلم ، وكـأن السـطح أراد أن يعتمـر قبعـة صـابر ، قـرأت مـا حصـل علـى أن البيـت العربـي يـدعوها للسـطح، جففـت دمعهـا بمنـديل وارتقـت درجـات السـلم ، ورأت النجـوم وكأنهـا تحيـي عيـد مـيلاد ولادة جديـدة لهـا ،تـذكرت سـكين صـابر الكلاميـة التـي وإن آلمتهـا ولكـن أيقظتهـا لتحيـى مـا بقـي بشـكلٍ صـحيح ، يومـا مـا حرمنـي أهلـي أن أتزوجـه ، أمـا اليـوم تحرمنـي منـه عـادة ، والعـادة ليسـت دلالـة إيمـان ، فقـد نصـلي تلبيـة لعـادة لا تلبيـة لمبـدأ منطـوٍ علـى حاجـةٍ روحيـةٍ عليـا ، أطـل الصـبح وقـد استيقظ صابر ، فأطعمته فطوره بيديها .

أأخبره بأني سأطلب الطلاق أم لا .

ختمت نقاشها الداخلي بإعلان لدي عمل ولكن قبل الذهاب إن كنت مرتاح نتابع قصتك يابطلي ، حسنا قالها باقتضاب حزين وشديد.

احتفال التناقضات

الأنبار 2005

تقول العرب : تفرقت غنمي يوما فقلت يا رب سلط عليها الذئب والضبعا

وذلك لأن اجتماع الذئب والضبع لا يضر الغنم ، إذ أن كل منهما يمنع صاحبه الاقتراب من الغنم ، ليظفر بالغنيمة وحده.

بعد أن حضر المتشددون وشيخ القبيلة، مدت الموائد ، وبدأت رصد الواقع عن كثب ، التقت العيون على مائدة الطعام المجنونة بصنوف الطعام المتعاكس ، فبينما ترى مالحا من الطعام ، تجد شرابا حلواً يتبعه ، وما بين مر وحامض وحاد تضيع الطعوم كلها ، ولا يضيع طعم الترقب والتخوف من عيوني ، فتارة انظر لفقراء جمعتهم فرحة الطعام ولفقراء الوله بالسلطة والمال .

أصحيح أن الفقر فقر عقل .أم أن أحد أغبى الملوك لما اعتلى عرش بلاده ، كسر قاعدة الفقر السابقة التي يجامل الفقراء بعضهم البعض بها ، ولما اتفق الجميع على تقديم بعض التنازلات لحل الخلافات وجمع شمل القبيلة من جديد ، لم نكن نعرف أن اللقاء سيكشف الكثير من تفاصيل الأشخاص .

رتبت خيمة المجزرة ، عفوا خيمة المأدبة، ليجتمع ضباع التشدد وذئاب التشدق بالقومية، وتلك هي جمالية بداية أو جمالية الضد ، عدوان حول فريسة واحدة وتحت سقف ناظري ، كنت كمن يسير على حافة من ورد وشوك ، الطاولة المستطيلة تشبه استطالة المتشددين على الناس بعبادتهم واستطالة غرور القوميين على الدنيا بأكملها، أما الكراسي فكانت كمن يجلس عليها عقوبات مفروضة لعدم الراحة بالجلوس عليها.

فالمدعوون بغالبهم لم يكونوا إلا كوارثا بشرية تسير على قدمين، فالقومي بنظر الأمة يتصف بحبه للرشا والفساد المالي والمتشدد بحبه للطعام والنساء وتحليل الدماء كل واحد يرى المأدبة من زاوية عمله وتفكيره ،التاجر يرى المأدبة كتكلفة والمزارع كمزرعة متنوعة والفقير لا يراها إلا كنز، الفرح بالاتفاق لم يكن واحدا بنظر الجميع ، فالقوميين فرحوا بتوحيد البندقية ضد المحتل وأخيرا ستزداد الضرائب والفساد ، أما المتشددون فرحوا بأن القوميين سيقعون بفخ العمل معهم ، لأن المحتل لن تخترق أفراده أفكارا دينية مغلوطة بالسهولة التي تدخل فيها الجماعة في عقول القوميين ،ومع ذلك الصمت كان سبب ائتلاف المجتمعين وكم كان موتهم سعادةً لي ، فالعيش بين المتميزين ضرر كبير لأن الضريبة ستكون محاولتك اللحاق بهم ، وهو ما سيجعلك تضيع بين أسمائهم ، فبوجود قادة كبار لا وجود للصغار ، مع أن الصغار هم العمود الفقري لكل المعارك، وثارت زوابع النظرات على تحف الحلويات بعدما رحل الطعام ، ويبدو أن خدر الطعام غير من شراسة البعض لتصبح وادعة ومسالمة ، ومن كانا متحاربين قبل يومين ،

أصبحا صديقين ، ولم يكن أحد الطرفين ليطمئن للآخر كم كنت سعيدا بمراقبة الجميع ، لقد كانت المأدبة الجامعة للذئب مع الضبع راحة للشعب العراقي لمدة عامين متواصلين في الأنبار،إن مجازر الفقراء ليست إلا موائد الطعام ولكن هؤلاء القوميين والمتشددين كانت موائدهم مجازر ارتكبوها كل بطريقته بحق العراق ، بعدها انطلقت أعنف هجمات المقاومة ضد المحتلين والتي أجبرتهم على البدء بالتفاوض مع حكومة وطنية للعراق كل العراق ، عرف الأمريكيون دوري فصرت على لائحة المستهدفين .

انفصال جسدي والتحام روحي

دمشق 2013

(الزواج حقا هو ما سرى من غيرك فيك بغيابه لا بحضوره)

ليس شرطا أن يكون الحب وسيلة للزواج ، فكثير من الناس يتخذون من الحب وسيلة للجنس والعلاقات العابرة ، وبالتالي ليس الحب على دوام بوابة تفضي للزواج ، كانت تحاول بشرحها المطول لصديقتها ، أن تقول أن حب صابر حب زواج.

اتصلت بزوجها ،أبلغته لم أعد أريد تحمل زواجك المتكرر من النساء ، أريد الطلاق ,, ولكنك لطالما شجعتني وقبلت ، لا أقدر إني أحبك أكثر من بقية زوجاتي ، إن شئت طلقتهن وجئتك، لا أرجوك طلقني وكفى ، أغلق الهاتف بوجهها ، وأعاد الاتصال لم يتحمل قرارها أنت من تخليتي عن القيام بواجبك الزوجي تجاهي ، اتصلت حنان أخبرتها ماما لما تصرين على الطلاق؟

اصدقيني كما صدقت معك دوماً ، حسناً،أتذكرين معرض الرسم ولوحة مدارات وما علاقتها بقصة طلاقك من والدي ، إني أحب هذا الرسام منذ صباي في الموصل ، هو من أخبرتك عنه دوماً .

أكاد لا أصدق أمتأكدة يا أماه .. نعم يا بنيتي ، لك ما تريدين ولكن حاولي أن تتزوجي صابراً سرا حتى لا ينزعج أبي عديني ، حسنا أعدك.

تخلت عن زوجها وقضت فترة ، ثم أخبرت صابراً بطلبها الطلاق، لكنه لم يتقدم بطلب الزواج أراد أن يختبر سبب رغبتها بالطلاق، ازداد حبه لها، بخاصة حينما أخبرته بأنها لم تطلب طلاقا لتتزوج به وأن لا علاقة له بطلب طلاقها . هو قرار تأخر كما قالت، وأنه يكفيها تواصلها الروحي معه، فالزواج ليس ورقة رسمية فحسب بل هو ما سرى من الزوج في قلب الزوج بغض النظر عن التواصل الجسدي أو الحضور المادي ، إنه التوافق على الاستمرار إلى نهاية النهاية .

المتشددون والقوميون يوحدون هدفهم مرحلياً

البندقية الموحدة تنتصر

بعد ليلة المأدبة ، تحول تاريخ العراق كما كان يتضح لي باتجاه الأحسن ، إذ تصاعدت أعمال المقاومة واشتد عودها ن وبدأ المسجد العربي يتحرر من فكر الجمود الوهابي والتنظير الكاذب والواهي للقوميين ، وينطلق ليكون سباقا في الانتصار لعراق موحد شعبا وأرضا وتبقى القيادة أمرا مؤجلا حتى يتوحد العراق ويتخلص من الاحتلال ، مع أن الشعب اتحد على عدوه واتفق على سيادته على أرضه إلا أن الخلافات كانت لاتزال قوية وعصية وخاصة عند النقاش على شكل الحكم .

قام الشيخ بعمليات واسعة ضد المحتل ، وجعل كل العراق هدفا لتحركاته ونضاله ، دمر المحتل المدن المقاومة وأسر الكثير من شبابها وشيبها ، ولكن الثورة بقيت صامدة ومشتعلة فاتبع سياسة الأرض المحروقة والتهجير والتفخيخ ولم ينجح ، وهنا غيرت الولايات المتحدة الحاكم الأمريكي لحاكم عربي ولكنها

تريثـــت فـــلا زال أمامهـــا رغبـــة بتجريـــب بعــض الســـلاح الفتـــاك لتعرضه للبيع في دول العالم .

كنـت أقـود مـن خـلال الصـمت والتخطـيط والتجهيـز للمعركـة أشـد المعـــارك العاتيـــة ضـــد الاحـــتلال ، تفاجأنـــا حينهـــا بـــإعلان هدنـــة والاجتمـاع للاتفـاق علـى تسـوية لانسـحاب المحتـل ، وليتهـا لـم تكـن تلك السحابة السوداء في تاريخ نضالنا .

وانســحبت القــوات المحتلــة مــن المــدن ، ليصــبح الفــراغ هــو ســيد المـــدن العراقيـــة ، فالمقاومـــة منقســـمة ولا يمكنهـــا حكـــم العـــراق ، لأن الحكـم يحتـاج لتوافـق مفقـود وخطـة واضـحة المعـالم ، واسـتمر القتـــال وعلـــت نبرتـــه ، ولكـــن أمريكـــا تمكنـــت مـــن الخـــروج وقلـــب الطاولــة علــى العــراق والعــراقيين مــن الخــارج وذبــح العراقيــون علــى يــد القــوميين الــذين ذبحــوا بالقــانون الموضــوع أصــلا لزيــادة الرشــوة لا للبنـــاء ، وعلـــى يـــد المتشـــددين الـــذين تحولـــوا لإرهـــابيين وبـــدؤوا القتـــل بالســـكين ، ســـقط العـــراق بـــين فســـاد قـــوانين وإدارة القوميين و سكين وتشدد الإرهابيين .

بالمختصر أحببتك ولا أزال ...

(الحب لا يشيب أبداً)

دبي نهاية 2013

وصلت دبي بشكل مفاجئ واستأجرت بفندق جميل غرفة ، ثم كلمت محاميها ليسير لها معاملة الطلاق ، هاتفت ابنتها لا وقت لدي لن أبقى سوى يومين لا تخبري والدك ياعزيزتي، ثم كلمت جريدتها ، وحددت موعدا لزيارة الجريدة قبل سفرها بساعتين اشتاقت لبساتين النخيل ولرحل الصيد الليلية ، لكل حجارة ورمال ومباني وسكان دبي .

وقامت ليا مع ابنتها التي بررت لوالدها الغياب عن البيت بمشروع بحثي عن الصحراء، وصلتا الصحراء ومعهما حبيب صديق حنان ، جلست تلك التي اسمها لا أدري تعفر نفسها بتراب الصحراء ، وترمي به صوب ابنتها وحبيب كما لو أنه ثلج تتلاعب بنعومته .

بعد ساعات عادتا للفندق ، وردها اتصال بنجاح الطلاق ،بكى وجهها فرحا وخفق قلبها وكأنه يرقص كهندي وصل أخيرا دبي مدينة الأحلام .

ذهبت تقرأ الإنجيل وتصلي وتشكر الله الحنان، ثم كتبت ع الفيس بوووك :

لقد كان حنيني إليك ثلاثي الأوجاع ، وجع بعد ووجع حنين ووجع فقد ، أما البعد فقد زال بقدومك وأما الحنين فلن تطفئه

أبـدا وأمـا الفقـد فلـن أسـمح لـك بـه أبـدا ، وكثيـرا مـا يعـود وجعـي مركبـا مـن تـذكر أيـام فقـدك وتـذكر أيـام بعـدك وتـذكر أيـام صـدك ، فأغـدو مثلثـة الحنـين إليـك ، أنـا حـرة صـابر كرمـى لـك ، حررتنـي السماء.

فرد عليها بمنشور على صفحته الخاصة :

(أنـت حبـي وسـلاحي ودوائـي بوجـه المـرض ، سـأكذب إلـى متـى ، إلـى متـى سـأمثل دور الـلا مشـتاق وأنـا مشـتاق ، سـأكذب علـى كـل النـاس! ولكـن الله وحـده يعـرف كـم مـن الصـعب علـي أن أخبـرك بمقدار حبي لك وبمقدار رغبتي في أن أتحول سيد قلبك للأبد).

سـعدت كثيـرا بـرده ، وذهبـت للقـاء الأصـدقاء بالجريـدة ، فقـد أرسـلت جـزءا لا بـأس بـه مـن تقريرهـا عـن مقاومـة العـراق ، اسـتقبلت بـالورد والترحيـب الكبيـر وتصـفيق حـار لـم تتوقعـه أجهشـت بالبكـاء ، الكـل يقـول أن العـدد الأخيـر الـذي نشـر بـه التقريـر بيعـت منـه ملايـين النسـخ، هاتفـت صـابر وأخبرتـه وكـم زادت سـعادتها بسـعادته وبتعبيـره للمـرة الأولـى بعـد سـفرها عـن شوقه لها.

طـال احتفالهـا بنجاحهـا الكبيـر تعجبـت وكتبـت فـي المجلـة بافتتاحيتها :

للحـب سـر كبيـر ، فبعـد أن عـاد حبـي القـديم ، تركـت عملـي بالمجلـة وتوجهـت للعـيش بدمشـق وقـد اكتفيـت بمـا حققـت مـن نجـاح فـي عملـي ، وقـد تظـاهرت بـأني اكتـب عمـلا عـن مقاومـة العـراق لأكـون قريبـة مـن حبـي الأول ولأبـرر لأسـرتي غيـابي ،وهـا أنـا قـد

حققت فوق ما تمنيت ، باللحظة التي قررت فيها الاكتفاء أصبح نجمة الإعلام المكتوب ومن يدري ولربما المرئي عن قريب ، حقا إن الحب لا يشيب ومن يحب لا يخيب .

طال غيابها ، فكتب صابر رسالة وأرسلها على جوالها :

(آه يا كوبها يا ملعقتها يا كل كلها مشتاق لها ، فيا ليت النجوم تحمل من لمعان عيونها قناديل نور لتنير دروبي المغلقة بغيابها) فردت قادمون يا حبيبي ، سافرت صوب دمشق على وجه العجل لتلتقيه ، ولكنها حاولت إيهامه أنها لاتزال بدبي ، فتحت السكايب وسألته أن يكمل قصته.

عدو وهدف

(قل لي من عدوك وما هدفك أقل لك ما هي أخلاقك)

كركوك 2005

لم يستسلم تحالف الاحتلال وأذنابه ، فقد تقصوا وتابعوا وراقبوا فاكتشفوا دوري ودور الكثيرين ، فاغتالوا الكثيرين من الوطنيين وأهل الخير، وبدؤوا يفكرون في الانسحاب كليا من العراق ولكن الاستخبارات الإسرائيلية قدمت مخططا شيطانيا ، تضمن عدة نقاط أهمها : اغتيال العلماء وتهجير الأقليات من أماكن تواجد المسلمين لتصوير المسلمين سنة وشيعة على أنهم رعاة إرهاب، وتشكيل مجلس صوري يمثل العراقيين من خلاله من قبل نواب عراقيين يجري اختيارهم بعناية ، ثم أطلقوا الطلقة الأخيرة بنعش المقاومة والعروبة والسلام في العراق فصوروا المقاومة على إنها تنتمي لمذهب معين بهدف تصفية مذهب آخر مستخدمين مخابرات إقليمية سلحت ومولت المتشددين الذين عاثوا في الأرض فسادا وانتهكوا كل محرم .

بدأت الملامح الانفصالية تتزايد يوما بعد يوم، فهاهي كركوك ترفع علما انفصاليا للكرد ، ويهجر عربها وتغير لغتها الرسمية وتنزع كل المظاهر العراقية منها، وبالوسط وخاصة الأنبار تم تغذية الخط المتشدد ليهزم الاعتدال والخط القومي ، فحلت حرب ضروس رحل ملايين العراقيين مهجرين بنتيجتها، أما المناطق الجنوبية والإسلامية الشيعية ، فبدأت التفجيرات تتنامى في مدنها حتى وصل حصادها لأرواح العراقيين ما يزيد على حرب الاحتلال ، تغير العدو وأصبح المحتل بيضة القبان والكل

يسعى للحصول على دعمه بدل محاربته ، فالهدف بات طائفيا وقزما لا ينسجم وعراق العرب العظيم ، ولأن العراق كسورية ولبنان مركب من كل طوائف الأرض، اشتعلت حرب لا تزال فتائل شررها تتنقل حتى أحرقت سورية ومصر ولبنان وليبيا والبحرين والسعودية واليمن بشررها ، لم تعد لا فلسطين ولا حتى العراق ذاته هدف ، بل الحصول على المال النفطي المسموم والملوث بالدماء من بعض السياسيين الذين فضلوا مصالحهم وأحقادهم على حساب وحدة العراق والأمة العربية، وهكذا غير الهدف عدو العراق من خارجي لداخلي وسقط العراق مضرجا بأموال النفط ومؤامرات مخابرات عربية وغربية تتكالب دولها على ثرواته وتطمع بتجزيئه.

لقاء جديد

(كل قدر جدي ولادة جديدة)

دمشق 2014

وصلت مطار دمشق ، واستقلت سيارة أجرة لبيت الياسمين ، طرقت الباب فلم تجده ، ففتحت الباب وأفرغت الهدايا التي جلبتها من دبي ، ثم نامت بعمق ، ولم تستيقظ إلا على ترحيب الخادمة الحار ، أين صابر ؟

سيدي ليس هنا ؟ توجمت أعرف وما الجديد بإجابتك ؟ وقلت لك نحن نكره أن تنادينا بسيدي وسيدتي ، فأنت أخت لنا ،إن قبلت.

شرف كبير ياسيدتي، حسنا لن أستطيع أن أغير شيء لذا قولي ما شئتي .

دخل صابر مساء وبيده شتلات ورد مختلفة ، زنبق وريحان وفل وياسمين ، أخذته بقبلاتها وعناقها وبكائها ، تأثر بشدة ونطق : أحبك.

سألته : أين ستزرعها .أمسكت الشتلات وبدأت تزرع، هنا حبيبنا العراق سنسميها زنبقة العراق وسيكون الحائط القريب منها لأثريات العراق ولوحاتك العراقية.

وهنا بالحائط الغربي فل لبناني وسيكون عليه كل جميل من ذكرياتنا في لبنان ، وبالحائط الجنوبي خناجر يمنية وتراث يمني وريحان يمني طيب الريح كطيبة أهل اليمن ،أما الحائط الأخير فسيكون للياسمين الدمشقي لحاضرة العروبة الأبدية ، خذ هذه الصورة للكعبة المشرفة والقدس الشريف وضعها على ياسمينة الشام .

لمحت عينيها تجهشان بالبكاء والخادمة تقبل يديه ، أنت أنبل رجل عرفته ، أغمي عليها ، استفاقت لتعلم أن السرطان لن يمهله كثيرا .

فقالت : سنتزوج الليلة وبمباركة كنسية وإسلامية ..

رتبت أمر عرسها ، دعت مسلمين ومسيحين يجمعهم خط المقاومة والعمل الوحدوي.

عقد القران بسرعة ، بل كل شيء تم بسرعة وكأنه وميض شوق في أحداق سكران كما يقول عمر أبو ريشة، لم يمضِ شهر على الزواج ، حتى فحص جسده ، فظهر المرض مستقرا وعلامات استمرار الحياة تزداد فقبلها وشكر الله.

قــال الطبيــب ليتــه تزوجـك مــن ألــف عــام ،فــاليوم ضــحكته تشــرق سلاما في قلوبنا جميعا ، أدام الله حبكما .

كــان صــابر قــد رأى فيمــا يــرى النــائم يــوم وفاتــه عــدة مــرات ومنــذ زمــن ولكنــه لــم يخبــر أحــدا.. قــال لهــا: العمــر مكتــوب وأمامــك هــذا العــام فــافعلي بــي مــا شــئتي ، فــإني راحــل بالعــام القــادم لقــد مللــت الحيــاة ، ضــحكت وقبلتــه ، قائلــة : ســأفعل بــك كــل شــيء ولــن ترحــل كانــت تظــن كلامــه كلامــاً فقــط ، والحقيقــة أن الــذهب لايمكــن أن يكــون ذهبــاً بغيــاب مــن يقــدر قيمتــه ويســبكه ويســوقه ويعرضــه بطريقة لائقة تعطيه حقه وسعره المستحق؟

قال جملته تلك وعاد يضمها ويتمشى معها .

عــديني ، ســتتذكرين قــوتي وبطــولتي ولــن تــذكري ضــعفي أمــام الأجيـــال القادمـــة ..أعـــدك ، لكـــن عـــدني أن لا تـــذكر المـــوت سأحاول ، ولكن كيف أصابك المرض؟

رد : حسنا ، أين دفترك لنكمل القصة.

حسناً : قل لي.

تمتم: بسياق القصة ستعرفين.

لقاء صادم

(فجأةً تحول البغل حصاناً)

كركوك 2006

طلب الأكراد لقائي شخصيا ، توجست خوفا ولكن ولكون جدتي لأمي من الكرد تواصلت مع أخوال أمي ، وأعطوني الحماية والآمان ، دخلت الإقليم الذي لطالما أهمله غباء سياسي العهد السابق.

استقبلوني بحفاوة أخافتني أكثر ، هاهو اللحم المشوي واللبن الرائب ، كل أيها العجل النحيل ، لا بد أن تسمن .قلت لنفسي والخوف يأكلني .

سألته : ممن ؟ قال : بلد مفتوح أمام مجرمي العالم كله ، وأنا مطلوب للمتشددين لأني رفضت القتل على أساس طائفي ، ويطلب رأسي القوميون لأني كشفت فسادهم وانسحبت.

صعقني الخبر التالي : وزيرة خارجية لإحدى الدول الغربية ، قدمت سرا وتريد محادثتي وكبير مخبريها في العراق .

دخلت رحبا بي، ذكاؤك كان عدوا كبيرا لنا ولكن غباء قومك جعل خططك تعود علينا بالخير ، سكتت ، فقال رئيس استخبارات ذلك البلد ، أهلا بعميل الطرفين ، لن نخبر أحداً عن انتمائك المزدوج ولكن وكما تعلم لكل شيءٍ حساب .

اضطررت للقول ما المطلوب :

لـن نجبـرك علـى الخيانـة ، فأنـت للحقيقـة رجـل مناضـل وإن كنـت عــدونا ، لكنــك ســتدخل البرلمــان العراقــي ممــثلا عــن الأكــراد، خرجــت ولــم أعــد ألتفــت وقــف أحــدهم بــوجهي وســد البــاب وأعطـاني صـورة لعـائلتي المقيمـة بدمشـق ، وقـال : متـى تحـب أن تــودعهم ،صــمت وقبلــت بتمثيــل الكــرد، كــي لا يشــعر القوميــون بانفصــال كامـل للكـرد عـنهم ، فتتوجـه البندقيـة العربيـة مـن جديـد لتوحيــد العــراق، بــدل أن تتوجــه لتحريــره، ثــم مــا الضــير بــأن يحصـل الكـرد علـى حقـوقهم المدنيـة والإنسـانية تحـت سـقف وطننـا ووطنهم العراق..

كلنــا رضــخنا ، فبعضــنا قتــل وغيرنــا ارتشــى وســواه خطــف لغوانتنــاموا ، ومــن كــان مــن المتشــددين عــدوا لأمريكــا أصــبح صديقها بالخفاء ، تحول البغل حصانا .

ودخلـت المجلـس النيـابي ، وتـم الضـغط علـي لأطالـب وأنـا القـومي العربـي باسـتقلال كردسـتان ممـا سيشـير إلـى أن القـوميين منقسـمين علـى أنفسـهم ، وسيشـجع المزيـد مـنهم علـى تأييـد عـراق فيـدرالي ، ما يعني ضياع العراق العظيم بروافده الصغيرة .

وفعـــلا نفـــذت مـــا طلـــب منـــي ، بعـــد أن اغتـــالوا أحـــد أقربـــائي وهـددوني بمحـو عـائلتي عـن وجـه الأرض ، لـم تعـد تضـحيتي تنفـع فــالعراق سـلخ كشــاة وتـم الهضـم ، ثـم أقـر بنـد معاهـدة لانسـحاب قــوات الاحــتلال ، بعــدما ســقط العــراق فــي فوضــى الاقتتــال مــع الإرهــاب التكفيــري وخيانــة الانفصــاليين ، قابلــت تلــك الــوزيرة الغربيـة مـرة أخـرى ، قالـت لـي : أحتـرم وطنيتـك ، لكـن لا تفـرح ، عائـدون ولـم نـذهب ونتـرك السـاحة فارغـة ، فعـن قريـب سـترى

العراق تحول نموذجا لكل الدول العربية ، اعذريني هذا وهم ، قالت : هل تعلم أن المتشددين باتوا غالب العدد الكلي لشعوب المنطقة ، وأن مال نفطكم يشتري لهم سلاحنا ليقتلكم بأيدي أبنائكم ويجوعكم بحصارنا الاقتصادي.

تم إعطائي إبرة تحتوي سرطانا لم أعرف إلا بعد عامين ، هذا سرطان يشهد لي بتضحيتي، وللقتلة بإرهاب العراق والعالم.

تابعت ليلتها فيلما أميركيا اسمه الطريق إلى بابل ، وأنا أسميته كيف تصنع أميركا الإرهاب؟ يعرض الفيلم ثلاث لوحات .

الأولى طفلين رعويان وبدو مغاربة ، لعبا ببندقية فأصابا بالخطأ مواطنا أمريكيا فتحول عمل الطفلين لعمل إرهابي وذلك لدعم الدعاية الأمريكية لغزو العالم .

أما الثانية : شابة يابانية تعاني من أعراض مرض نفسي ، يجعلها تفعل المستحيل ليتقبلها مجتمع التأمرك ، فتقودها تصرفاتها المتماهية مع الإرهاب الثقافي للعولمة لازدياد عزلتها فتقتل نفسها، وتستغل المخابرات الأمريكية الموضوع على أنه عمل إرهابي ، لتعزز من تواجدها في الشرق الأقصى قبالة العملاقين التنين الصيني والدب الروسي.

والثالثة خادمة مكسيكية تعمل لدى أسرة أميركية ، تقطع الحدود ليلا باتجاه المكسيك فيتهور السائق ويقتله الحرس الأميركي وتضيع المرأة والطفلان ، فيحقق بالموضوع على أنه عمل إرهابي ، وكأن شعوب العالم كله إرهابيون ، مع أن صانع الإرهاب هو الخوف الأميركي من العالم والطمع بالسيطرة

عليه، فالخائف قد يقتل جيشا من أصدقائه ، إن تحرك فأر حقل بقربه.

استقالة من برلمان وهمي

يبقى الشوك شوكا وإن أثمر والريحان ريحانا وإن يبس

والطفل شبيه أبيه شكلا أو فعلا هيهات يلد الكلب إنسانا

بغداد 2007

تغيرت قواعد اللعبة السياسية ، وبات العراق أعراقا ، وبات مستحيلا علي القبول بالاستمرار به ، خاصة وأن الإرهاب بات له ممثلون في كل العراق ، والكل إما متفرج أو مندد أومنتظر ، والبرلمان مليء بالوطنيين والشرفاء والمخلصين ولكن الضغط والترهيب للمحتل والإرهاب مستمر على أعضائه وقفت أخطب وقتها :

(نحتاج لمن يكذب علينا لتستمر الحياة ، ولربما تلك هي القاعدة الذهبية لمن يريد بناء مجد من سراب ، وهي القاعدة التي فاتتني وأنا أطرد آخر سراب من أصدقاء المصلحة وغربان المنفعة حولي،وسارت الأيام ، أزرع غرفة العمل والحياة وحيدا، لأنني كما أدعي وتعرفون على أقل تقدير فضلت مصلحة البلاد والعباد دوما على مصلحتي ، ولم أكن أعلم أن حب الرجل لزوجته وقيام العبد لربه ليلا وزكاة المؤمن كلها مصالح عامة ، ولكنها تسمو مرة وتدنو أخرى ، وليس يرد سمو الفعل أو

تدونيه لذاته ، وإنما لنية ورغبة فاعله ، ولعل جزءاً كبيراً من تخلفنا ، إنما تعود لكوننا نرد ونصيغ الفعل المحمول على أنه شرف وعز كبير وكبرياء للفاعل ، بينما قيامشخص ما بواجبه، ليس منة يعير بها أحد ، وعلى سبيل المال فالصلاة بجوهرها عمل نؤكد به على شدة تمسكنا بالنهج الرسالي للإنسان فنبيع الملذات الدنيئة ، ولكن هل الصلاة كفعل محمول رهينة الفعل ذاته أم الفاعل الحامل لشكل الصلاة ومضامينها ؟

لا تغيير وارد ، إن لم نؤمن أن التغيير يحتاج أفعالا مميزة ومنسجمة وواقع العراق الصعب.

أيها السادة والسيدات : أكرمكم الله بالراحة والسعادة.

إن الإنسان قدس الأقداس ، وهو المرحلة الأكثر رقياً والجانب الأكثر إلهية في حياة ابن آدم (فكل بشري هو ابن لآدم ولكن ليس كل ابن آدم إنسان) ، إن ما سعت إليه الأديان جمعاء هو إدخال أسمى مادة خام (البشر) إلى فكر المحبة والسلام وعافية النوايا من الشر والسوء ليخرج من بشري بنور الإيمان الذي جاءت بله الأديان في نهاية المطاف إنسان .

العراق نازف ومحتل ونحن وليدوا الاحتلال والارتجال لا العراق وإنسان العراق المبدع ، لذا أناشدكم بالعراق أن تستقيلوا من برلمان وهمي ، يكرس مصلحة أعداء العراق الانفصاليين من جهة والمحتلين من جهة أخرى.

إن الإرهاب الحقيقي لن يقف ما دمنا لا نستطيع تجفيف منابعه ، ولن ننتهي منه حتى يخرج الجيش العراقي من عباءة الاحتلال

بشكليه الداخلي والخارجي ، نحن نحتاج قائدا بطلا يقود العراق جيشاً وشعبا للخلاص ،نحتاج رجلا أعجوبة والاحتلال يستخدم كل شيء وكل الوسائل ليمنعنا من أن نجد خلاص عراقنا بقائد ثوري يحمل الوطن في قلبه قبل أي شيءٍ آخر، الخلود لرسالة أمتنا العربية وشكرا لكم .

علا التصفيق وغادرت المجلس وأجزم بأن غالبيتهم لم يفقهوا شيئاً من قولي.

حسد طارئ يشوش وغدر كامن يؤلم

<u>(فى ليلة ليلاء وذئب وعواء سرق كتابى الأصدقاء)</u>

دمشق 2010

رغم أن حديث النبي الكريم يوصي بأن نستعين على قضاء حوائجنا بالكتمان ، إلا أنني كنت قد أخبرت صديقاتي عن مشروعي عن المقاومة ومقالاتي الصحفية عن صابر والعراق، وكم حدثت زميلاتي الصفيات عن عملي وعن مسماه (لا أدري) تأخر صابر عند أصدقائه ، فقرر أن يبقى عندهم يومين آخرين ، لأنه ارتاح كما قال فزارتني صديقة، حاولت العبث ذات مرة بحاسبي الشخصي ، فنهرتها وصرت أخفي أعمالي الصحفية بشكلٍ جيدٍ ، وأتحاشى أن أتركها وحيدةً في بيتي ، وذات مرة أبلغتني أن صديقتنا المشتركة، تعاني من نوبة سببها مرض السرطان ، المهم قمت بالواجب وبقيت معها لوقت طويل ، ولما عدنا طلبت المبيت عندي فرحبت ، ونمت ثم خرجت لجلب العشاء ولكن دعتني هدى التي أخبرتني بنوبة

جميلـة ، وقـد بـدأت الطعـام ، فيمـا تظـاهرت هـي بأنهـا تعمـل ، كانـت تكلـم جميلـة علـى الهـاتف ليسـرقا العمـل سـويا ورغـم أن جميلـة طلبـت قرصـاً صـلبا (c.d)، لـم يخطـر ببـالي أن يكـون الهـدف سـرقة عملـي ، وتتالـت الأيـام ولـم أفكـر بهـذه الطريقـة إلـى أن عـدت بعـد رحلـة صـيفية للجبـال ، خطـر ببـالي كـل مـا حـل وكأنـه شـريط قـد حصـل وكنـت غائبـة الـوعي ، وبـالرغم مـن أن الزميلتـان كلاهمـا مصـابتان بالسـرطان ولـيس بـالمرض شـماتة،إلا أنهمـا سـرطانان حقيقيـان ، حزنـت وحمـدت الله أن المسـوق بـالرغم مـن جودتـه غيـر مكتمـل ، طـار النـوم مـن عينـي ودخلـت قلبـي أكـوام شـك شـائكة وإحسـاس بغـدر كبيـر ، وبـدأت العمـل بسـرعة ضـخمة لأكتـب مـا يقـرب الخمسـين صـفحة بيـومين ، الـبعض يعتبـر ثلاثـين أو خمسـين أو حتـى مئـة شـيء سـهل بيـومين ولكنـي كنـت أؤلـف لا انقـل أو أسـرق مؤلفـا لغيـري ، حزنـت وتألمت ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سـمع صـابر فحـزن وطلـب منـي الاختـزال والسـرعة لأنشـر عملـي، وأحصـل علـى حقـوق الملكيـة الفكريـة ، وتعاهـدنا علـى الإسـراع بالعمـل ، وإن تراجعـت نوعيـة العمـل ، علـى أن تبقـى أهدافـه قائمـة ومرعيـة حتـى آخـر سطرٍ فـي العمـل، كنـت ولـم أزل أتحسـس مـن تـذكر هـذه الحكايـة ، ولـذا دائمـا مـا أنصـح الكاتـب الأصـيل أن لا يثـق بـأي شـخص فالمثـل العربـي القـديم يقـول : لا تـأمنن قـارئ علـى كتـاب ، تخوفـت علـى صـابر فمرضـه كـافٍ ولا أريد زيادة همومه.

وبـدأت عمــلاً مضــنياً ، أعمــل ليــل نهــار ، أوثــق وأكتــب وأدقــق وصــابر يقـدم الطعــام والشــاي ويســهر معــي ويـدعمني بكـل قوتــه ، حمــدت الله أن ســرقة جــزءٍ مــن العمــل قــد عــززت وأكملــت أهــم عمــل فــي مســيرتي الصــحفية والشخصــية قصــتي حبــي للشــخص وإعجــابي ودعمــي للمقــاوم للكبيــر صــابر ، لأول مــرة أســتذكر حنان والدي .

محاولة اغتيال

<u>(من فلسفة الورد :أنه يكافئ اليد التى تلمسه أو تقتله بأن يترك عطره أثرا عليها)</u>

بغداد 2008

بعــد أن أنهيــت خطــابي فــي قبــة البرلمــان الــوهمي ، خرجــت مباشــرة وركبــت ســيارتي بمرافقــة حراســي الشخصــيين ، توجهــت لبيتــي الكبيــر الممنــوح كهديــة لــي مــن الحكومــة ، اتصــالات عــدة وردتنــي تراوحــت بــين مهنــئ ومحــذر ومهــدد ، ولــم أســتطع التفكيــر فقــراري لا تراجــع عنــه إطلاقــاً ، اســتيقظت صــباحا لأجــد الســائق الحــراس يســتأذنوني بالرحيــل ، لأنهــم لا يســتطيعون تحديــد اســم ومركــز المتصــل ، ولكــنهم ودعــوني وأخبرونــي خــوفهم الشــديد على أمني وحياتي.

دب القلــق فــي حيــاتي ، وتغيــرت عــاداتي ونشــاطاتي واحترســت مـن أي خطـأ قـد يـودي بحيـاتي لـم يكـن الرحيـل عـن العـراق واردا فــي البدايــة بقــاموس نضــالي ودفتــر حلــولي ، تــم مقــاطعتي وإيقــاف

كل موارد ي المالية ، ووضعي تحت مراقبة شديدة القسوة ، كل ذلك مترافقا مع دعوات سرية لحل من اثنين إما عودة للمجلس الوهمي أو هجرتي ، وكلا الحلين لا يروق لي .

تأخرت ذات يوم في شوارع بغداد ، وكم كنت يومها مثيرا للشفقة ، كنت أحمل طبشورا وأكتب على الحيطان والطرقات ذكريات وأسماء ، اكتب شعارات العروبة ، أقوال عمر المختار وعبد الكريم الخطابي وسلطان باشا الأطرش ، أتلمس دفء أصواتهم في مخيلتي كتبت كل ما كنت أخشاه ذات يوم ، ولم ينزعج أحد .

إلى أن جاء يوم وشربت خمرا لأول مرة بحياتي وخرجت مخمورا ، وبدأت أكتب عن صفقات أخفاها المجلس الوهمي والسياسيون عن الشعب العراقي .

تأخرت في العودة إلى البيت ، ومع أني استعدت عقلي من سجن الخمر ، ولكني ولأول مرةٍ بحياتي أضعت الطريق وتهت بحارات بغداد ، أنا الذي حفظت حارات بغداد و الأنبار والموصل حارةً حارة تهت ، لم تكن مشكلتي إضاعة الطريق ، لكن لا أحد يصدق والكل يتفرج ضاحكا ويقولون التمثيل لا ينفع يا مستقيل ، المهمة تحققت أرشدني بختام الثالثة ليلا أحد القوميين لحارة قريبة من داري ، ودعني وعاد أدراجه ، مشيت بطريق مظلم لا ضوء فيه ، الترقب والخوف كانا يجثمان كبركان يحرق أعصابي ،كل شجاعة تحليت بها يوما تخلت عني ، كنت أتحسس الموت في خطواتي ، واستذكر المتشددين القتلة والقوميين الفاسدين ، وأين أصبحت أمتنا بسبب أبنائها ،

مشــيت ولا قــوة علــى المســير مــن التعــب والخــوف ، تــذكرت كلمـات الوعيـد والتهديـد مـن المتصـلين ورحـت أتوقـع طريقـة قتلـي واغتيــالي ، ربمــا طلــق نــاري مــن دراج عــابر ، أو ســكاكين تمزقنـــي ألـــف قطعـــة كـــالعراق ، أو طـــائرة دون طيـــار ترمينـــي بصاروخ ،، ولربما سقوني بالحانة السم .

ياآلهي ، كم أشتاق للمرحومين أمي وأبي .

وفجـأة بـاغتتني فكـرة ، ربمـا تمزقنـي كـلاب شرسـة لألـف قطعـة ، ولـم أكـد أنتهـي حتـى مـر شـاب قربـي ،هـو وقـع أرضـا مـن الهلـع وأنــا قلــت الحمــد لله أشــهد أن لا إلــه إلا الله وأن محمــداً رســول الله وسـرت رجفـة كـالزلزال فـي كـل أنحـاء جسـدي ، لأتسـلق شـجرة ضـــخمة وكثيـــرة الـــورق كانـــت أمـــامي ، وفعـــلا كانـــت كـــلاب الاحـتلال مـن الشـارلوا الشرسـة قـد مزقـت وجـه الشـاب الآخـر، ثـم ابتعدت الكلاب بأمر مربيها ولكن سمعت أصوات تقول :

We want to know if he dead

تـداركت الوضـع وألقيـت قميصـي بعـد أن مزقتـه بسـكيني ، وملأتـه بـدم الشـهيد ، رحلـوا وعـدت فـي الخامسـة صـباحا لبيتـي ، وضـبت قناعـاً ولحيـة وشـعرا مسـتعاراً وهويـة أفغانيـة وقلـت سـاخرا بركـات الملقــب بالشــيخ زيفــاً للإســاءة لرجــال الــدين والعلــم ، و اســمه الحركـــي أو شـــهرته ب ((حـــرب)) لهـــي أشـــد قربـــاً لطبـــع الـــدول الاســتعمارية وسياســتها فـــي شـــن الحـــروب، وزرع الإرهـــاب ، وإلصـاق التهمـة بـديننا الحنيـف، تتحـول حقيقـة ، وأثنـاء مسـيري كانـــت الجرائـــد والمجـــلات تنشـــر صـــورتي وأنـــا ميـــت وشـــعارا أخضـر حسـيني لإحـدى الكتـل النيابيـة الممثلـة للمسـلمين الشـيعة ،

فثـار أبنــاء مـذهبي فــي تكريـت والأنبــار و الأعظميــة كـرد فعـل رسـم وخطـط لـه المحتلـون طـويلا ، لأنهـم أرادوا للمسـلمين السـنة أن يــزدادوا نقمـــة وأن تتحـــول نقمـــتهم علـــى إخـــوتهم المســـلمين الشـيعة ، وفعـــلا ثـــارت تكريـت فوجـدت أميركـــا المنـــاخ مناســـبا وفرضـت مــا تريـد علــى الحكومــة التــي تضـم مقــاولين وتجــار ورجـالاً قصـيري النظـر ، الـنفط العراقــي مقابـل السـلاح والـدعم المــالي ، كــي لا نسـقط حكـومتكم بالاقتتــال الطــائفي، تمكنـت مـن التواصـل مـع رفــاقي القــوميين وتوجهـت للشـمال وتخفيـت حتــى تمت أوراق سفري باسمي وهويتي الحقيقية لدمشق .

مرسم عربي

<u>(يقول الياسمين وطن – شرف – إخلاص)</u>

دمشق 2014

علــى حــين غـرة تملكنــي فضـول كبيـر ، لأعـرف لمــا يقفـل صــابر تلـك الغرفـة ،سـألته عـدة مـرات لـم يجبنـي ، عـاد مـن رحلـة لإحـدى ضـــواحي دمشــق ، فحضــرت لـــه الغـــداء وتناولنـــا الشـــاي ســـوياً أتحبنــي .... قـال متبسـماً: كـان طبخـك طيبـا ، كالعـادة دائمـا تتهـرب مـن الكـلام العـاطفي ، حقيقـةً لا أعـرف سـبب تهربــي ، لا أسـتطيع التعبيـر إلا بالأفعـال ، إذاً افـتح لـي تلـك الغرفـة ، قـال : لكنـي سـأفتح آلاف الجـراح بفـتح بابهـا ، قالـت : أرجـوك كـن معـي كمـا كنـت دوماً رجلا لا غنى عنه ولا بديل له ، فتح باب الغرفة .

هللـت : لله وأكبـر! هـذا كنـز ، لـم أخفيتـه عنـي صـمت ، لـم أعـد أتطلعـه لشـيء سـوى للوحاتـه بمختلـف أسـاليب الرسـم وعـن شـتى الموضوعات وكان هاوٍ للرسم الضوئي .

فمسـحت الغبـرة عـن اللوحـات بكـى وبكـى بكـاءاً أبكـاني معـه ، طلـب منـي تركـه ، فـي المرسـم ، أغلـق البـاب علـى ذاتـه وبقـي ساعاتٍ طويلـةٍ فـي المرسـم ، وأخيـرا خـرج لـيلا تناولنـا العشـاء ولـم يـزل صـامتاً ، قـال لـي : لوحـاتي هـذه بأسـماء مقـاومين استشـهدوا معـي بـالعراق ، فكـل لوحـة باسـم ولـن ارسـم مـرة أخـرى كـي لا أسـتذكرهم، وهـو مـن لوحـات المعـرض السـابق وقـد رأتهـا ابنتـك حنان .

لـم أشـأ حـواره مخافـة أن يتحـول رفضـه جـبلا لا يتزحـزح ، وفـي الصـباح وبعـد الفطـور والشـاي، قلـت لـه أريـد طفـلا منـك خروجـا عـن الواقـع ، قـال : كبرنـا ولسـنا قـادرين علـى الإنجـاب وأنـت لـديك أطفـال ، قلـت : نعـم ، صـحيح ، ولكـن أولادك أجمـل ، ضـحك ، أتسـخرين منـي ، مـا عـاذ الله يـا حبيبـي، قـولي لـي إذا مـن أولادي؟ لوحاتـك ، آه سـبحان مـن حبـاك هـذه الموهبـة ، أنـت تسـتطيع النضـال برسـمك ، ألا تحـب سـورية ، رد : سـيحبها كـل إنسـان متحضـر ومثقـف وأصـيل فكيـف بقـومي عربـي مثلـي ، فلـيكن معرضـك كرمـى شـهداء الجيـوش العربيـة السـورية والعراقيـة واليمنيـة واللبنانيـة والمصـرية ، ألا يسـتحقون مـن ابـنهم هـذه الهديـة! سـأفكر بلوحـات جديـدة ولكـن المشـكلة بالمرسـم ، أنـت ارسـم وأنـا أتكفـل بالمرسـم ، حسـنا ، كنـت سـعيدة وتلمسـت السـعادة فـي حياتـه ونشـاطاته بعـد هـذا الحـديث ، بـدأ يرسـم مـن بـاكورة

الصباح حتى المساء ، بأكل قليل وخروج أقل وصمت شبه مطبق وخلافا للراسمين ارتدى بدلاته الرسمية أثناء رسمه ، كنت أسمعه يتحدث مع لوحاته وحين أطرق الباب يقول لي بلطف بالغ ، مشغول سيدتي ، وكأنه باجتماع رسمي ،بدأت أخاف أن يجن ، ولكن تمالكت نفسي مخافة أن يقف عن الرسم ، فالطبيب قال لي ، ما يطيل عمر المريض ويخفف ألمه العمل المنسجم وتطلعاته ورغباته ، واستمر رسمه وطالت أيام الاعتزال .

وذات مساء أبلغني بنهاية لوحاته ، فقال لي : أين سيكون المعرض، في مكان يسحب هويته على كل المعرض واللوحات والرسام وحتى الجمهور ، أين: قلت له في بيتنا العربي هذا، ابتسم يا لك من لصة أفكار ، أعجبتني الفكرة.

أزلت الكثير من الأشياء وفرشت أرض الفناء بسجادات فارسية عريقة ، وعلقت فوانيس تضيء ليلا وبغالبها نحاسية ، كنت اشتريها ليكون معرضا مشرقيا بامتياز ، ومن ثم جهزت لكل كلمة جدار من الجدران الثلاثة ، وطن على الجدار الشامي المؤلف من سورية الطبيعية بكل أقطارها ،وشرف على الجدار العراقي واليمني ، وإخلاص على الجدار المصري الجزائري.

وعلى الباب لوحة بالخط العربي كتب عليها معرض الياسمين الدمشقي يرحب بكم ، وجد صابر بعملي وطنا عربيا تمناه ولم يحققه ، ولكنه فرح وأخبرني بأنه يكفي الإيمان بأمة عربية واحدة في هذا الظرف القاسي الذي تتعرض له الأمة العربية .

علق عدة لوحات من البيئة الشامية على الجدار الشامي ، أهمها لوحة وضعت على أرضها أعلام الدول العربية كلها ، وعلى الأعلام بنيت كنيسة القيامة والمسجد الأقصى والكعبة والمسجد الحرام .

الأعلام تقول كل الأقطار فداء للمقدسات ، لأن من لا مقدس له أو عنده فلا وطن له، وأما القبلتان الأولى والثانية لتخبر كل من يحج لبلاد الحرمين الشريفين أن من لا قبلة أولى له فلا ثانية ، وأما الكنيسة فللقول أن العرب مسيحيون بقدر ماهم مسلمون وكنائس عراقتهم وإيمانهم تشهد، ومحفوف طرف اللوحة بشتلات الياسمين للترحيب بزوار الجمال بكل تجلياته ومعانيه في أرض العرب ، وأما الجدار العراقي اليمني فاللوحة الأجمل، كانت لوحة تبرز نهري الفرات و دجلة كطرفي عين وتبرز بغداد كحدقة سوداء جميلة وتنتهي اللوحة بسد قديم كتب عليه ، من بغداد لسبأ نفط العرب للعرب ، أما اللوحة الثالثة على الجدار المصري الجزائري كانت محيرة ، إذ كتب رقم مليون بالأحمر تحت الأرض وعلى سطحها الأهرامات وجعل النيل شلال دماء يصب في الجزء الأحمر من العلم المصري ، وكأنه يقول دم المليون شهيد فدى مصر والأهرام و لولا دماء الشهداء لما كانت مصر ولا الجزائر ، والنهر ربما أراد به تخليد ذكرى الرجل الكبير جمال عبد الناصر الذي دعم الثورة الجزائرية ، فكان للمصريين والجزائريين مجرى واحد النضال والعروبة.

أمـا اللوحـة الحمـراء التـي فيهـا نجمـة علـى تـلٍ مرتفـعٍ ، لتؤكـد للمغاربـة الأبطـال الـذين استشـهدوا علـى هضـبة الجـولان فـي الدفاع عن شرف أمتهم ، أنَّ الأمة لم ولن تنسى تضحياتهم.

حصد جـوائز كثيـرة ، ونـال تبريكـات كبيـرة فـوق مـا تمنـى وتوقـع، وأبـرز لوحاتـه مـلاك يتلقـى مـن قيـادة الجـيش العربـي السـوري أسـماء الشـهداء مـن كـل الجيـوش العربيـة المحاربـة للإرهـاب ويسـمي النجمـات بأسـمائهم، لكأنـه يقـول دمشـق مختـارة الله لقيـادة حـرب الأمـة العربيـة علـى شـيطان الإرهـاب الصـهيوني الوهـابي،انتهى المعـرض ، فـدخل غرفتـه لينـام ومـن ثـم اسـتيقظنا صباحا ليكمل لي قصته من حيث توقفنا .

محاولة يائسة

(الأعمى ليس من فقد البصر ، بل من فقد الضمير)

حاولـت بعـد نجـاتي مـن محاولـة الاغتيـال ، إيضـاح أنـي علـى قيـد الحيـاة وأن المسـلمين الشـيعة إخـوة لنـا وليسـوا أعـداء وأنهـم مـن أنقـذوني مـن الاحـتلال الأمريكـي ، ومارسـت بكـل الطـرق ضـغطا علـى العشـائر العربيـة المسـلمة السـنية لوقـف مسلسـل تحميـل دمـي للعـرب المسـلمون الشـيعة ، فقـالوا عبـر قنـوات بعـض الـدول الحليفـة لأميركـا أن الاحـتلال أنقـذني ، وكـم حاولـت إيضـاح الحقيقـة وفشـلت فمـن غـذى زيـف الإدعـاءات الأمريكيـة والباطـل الأعرابـي ، لـم يكـن أحـدا غريبـا ، حتـى أن متشـددين كثـراً مـن المسـلمين الشـيعة ، اعتبـروا إنقـاذي مـن المسـلمين الشـيعة خطـأ كبيـراً لينفخـوا فـي الفتنـة ويزيـدوا مـن قـوتهم وزعـامتهم وأمـوالهم

وليخمدوا ما تبقى من أصوات وطنية وعلمانية ، تقف بوجه مطامعهم للسيطرة على العراق كله .

أبلغني الأمريكيون أنهم لا يريدون قتلي ، وأنهم تركوني أقول وأفعل ما أشاء لأعرف أن المنطقة لها مدير واحد هو الأميركي، وأن القوميين بعد رحيل شخصياتهم الاستثنائية وكوكبة قياديهم ، انتهى دورهم للأبد في المنطقة ، وأن علينا أن نجهز أنفسنا لحرب طويلة مع المتشددين ، الذين سيكونون في كل الدول الإسلامية وبخاصة العربية منها وبكل الطوائف وبخاصة الأكثرية منها فالتشدد كارثة في كل مكان وزمان ، ولا تخلو دولة أو طائفة أو طريقة من متشددين ، والفرق يكمن بين من يوقف تمددهم من نفس طائفتهم أو دولتهم وبين من يفسح لهم المجال ليمثلوه، لنقع فريسة اقتتال طائفي وداخلي يحرفنا عن قضيتنا الأساس فلسطين ، ولنتبادل كيل الاتهامات فيم بيننا ، لنخرب التلاحم الشعبي ، بعد أن دمرنا التلاحم الثوري بيننا كقياديين فبدأت ليلا العمل على تجهيز أموري لأرحل، مع علمي المسبق أن الأمريكيين لم يعودوا مقتنعين بضرورة قتلي فالقضية التي أناضل لأجلها تم تصفية أهم أجزائها ألا وهو حرمة الدم ووحدة الوطن وسلامة المقدسات، محاولين تسليط الضوء على قضية مكافحة التشدد الذي يعتبر أخصب بيئة للإرهاب وكأننا لم نعش سبعة آلاف عام مع بعضنا البعض (المتشددون من كل الطوائف إرهابيون ينتظرون لحظة مناسبة لينفجروا بالوطن والمواطنين).

رحيل شخص واستمرار قضية الأمة

(لا حرية قبل الموت فالموت مغامرة لا شاطئ لنهايته)

دمشق 2015

نجحت بالحصول على تأشيرة بعد عام لدمشق فوصلتها عام 2009، واشتريت بمالي بيتا عربيا سكنت فيه ، وآخر لمن تبقى من إخوتي بعد وفاة والدي ، ولكن أموالي انتهت وبت على باب الفقر ، ولكني تمكنت عام 2010 من بيع لوحة مدارات الرؤية بمليون دولار ، وذلك بمساعدة أصدقاء ، أمنوا لي مكانا بدبي لعرض لوحاتي وبيعها ، وقتها قابلت ابنتك حنان وأما الباقي فصار بين يديك وكله تعرفيه ، صمت فقد استبد به الألم ، ولكنه لا يريد أن تعرف تراجع صحته فتصاب بحمى الخوف عليه ، فقد أبلغه الطبيب بقرب علامات الموت التي باتت تتحقق كاملةً، ولكنه أخفى عنها.

سقط مغمى عليه ، فأدخلته المستشفى ، ولكنه أصر على أن يعود لبيته العربي وليموت فيه بحسب ما قال من يموت في دمشق لا يموت غريبا ولكن بيتي الثاني هو العراق .

جلس على فراشه مصفر اللون وضعيفا وتشوب عيناه ذكريات رغم صمته تبدو وكأنها ناطقة، جاءت له بلوحة وألوان كما طلب منها ، قال لها ، البيت العربي وأثاثه ملك لك ، وجوربي وحذائي للشحاذ البخيل في الحارة ، وسلاحي للجندي السوري الواقف عند مدخل الحارة لحمايتنا ، واللوحات ستبقى لك تصرفي فيها كيف تشائين ، لكن لا تتخلي عن نشر قصتنا ، ثم

استأذنته ودخل القسيس والشيخ ليقرأ عليه آيات الوداع ، فقال لهما ، تبا للشيطان لولا ضعف عقل النساء لما دخلتما بيتاً في الأرض.

قال له الشيخ على انفراد موشوشا في أذنه ، لا تدخل نصرانيا أخشى عليك النار فأجابه : لا تخف هناك كاهنة جميلة قادمة ، لعلك تتزوج المرأة الخمسون في عامك هذا ، غضب الشيخ ورتل سورة يس وجلس قليلا ليأخذ أجره ، وطلب منه القسيس أن يخرج الشيخ ، فأخبره صابر هازئا ، أهذا هو الدين سحقا لكم يا خناجر إبليس ، أنتم أعداء الأمة ، يطل منكم الظلام وتصبغون عقول الشباب بالكره والطائفية ، لم أتيتم معا سحقا لإبليس الذي أرسلكم ، حتى في الموت لكم خلافات ، دعوا الموت يوحدنا ، وقد عشنا أمةً ممزقةً، ينهشها الاستعمار و الفقر و التخلف والتعب ، دعوا التراب الواحد الذي يضم رفاتنا مصاناً، لا تبيعوا موطناً ضحى لأجله الكثيرون ، دعوا عظامي وعظام عبد الكريم الخطابي و عمر المختار و عبد الرحمن الشهبندر و الأمير عبد القادر الجزائري و الكثيرون ، يلتحدون تراباً حراً ، ضحوا لأجله بالغالي والنفيس ، وظل يرسم ولا يسمع إلا موسيقى عبد الوهاب ويدندن ، حتى دخلت فأمسك بيديها وفاضت روحه بسلام .

لقد كان موته أجمل لوحات العروبة والإنسانية مسلم عراقي يموت بجوار زوجته الحبيبة المسيحية العراقية ، عربيان اختلف أسلوب نضالهما ولكن الغاية وحدت دربهما ، من دينين مختلفين ولكنهما تنورا فارتفعا بالإنسانية لتدنو من سمو الرحمة

الإلهيــة ، صــحفية تحــرر بقلمهــا ملايــين العقــول ومقــاوم يحــرر ببندقيتــه الجبنــاء مــن ســباتهم ، تجمعهمــا دمشــق وتــأوي حلمهمــا دبــي وتسـلم عليهمــا بيـروت ، وتقرأهمــا القــاهرة ،ليكونــا بقصــتهما ســفراء النضــال المقـدس لتحريــر الإنســان العربــي قـدس الأقـداس من عقدة الجهل على طريق تحرير الأقصى.

ذكريات مكتوبة

(في كل طائفة دواعش ومتعصبون ومتزمتون ، ولكن لا يمكن لطائفة شريفة أن تحكمها هذه النماذج)

فتحــت دفتــر ذكرياتــه الــذي كــان يمســك بــه ويشــده علــى صــدره ، وقــد ســقط مــن يــده التــي صــافحت الأرض لآخــر مــرة ، كانــت كتابتــه عصــرا عربيــا جديــدا لفهــم الفــتن التــي أحاطــت بمنطقتنــا وأمتنــا ، فمــن كتاباتــه التــي اســتوقفتني:أن العــرب صــدروا للعــالم أعلــى درجــات الرقــي ألا وهــو الفكــر الــذي أبــدع الإنســان فــي ظلــه نــورا وعلمــا وأدبــا وبفكــرهم نــوروا العــالم ليعــود فكــرهم بعــد قــرون مــن الشيشــان والأفغــان والأمريكــان وســواهم خنجــراً داعشــياً يــذبحهم فــي أرضــهم ، بينمــا صــنعت أمــم حواســباً وأجهــزة الكترونيــة تحــد الفكــر وتنشــر ثقافــات اســتهلاكية لا إبــداع فيهــا إلا للكرش والفرج ولكنها لم تعد عليهم بالذبح كما عاد علينا فكرنا.

لمــاذا نقبــل أن يــأتي مســلم جاهــل لا لغتــه عربيــة ولا أخلاقــه إنســانية، ثــم نــروج لــه ليحكمنــا ، هــل هــو أدرى منــا بــدينٍ خــرج مــن جزيرتنا العربية وبلغتنا ؟

إنني لأعجب أشد العجب لمن ينظر لطائفتي ولا يهتم بسلوكي وكأن ما ورثته بدون اختيار أهم مما أفعله باختيار وحرية كاملة، فالذبح ليس المشكلة بحسب هؤلاء الفاقدين لأصالة الفكر بل طائفة الذابح والمذبوح وكأننا لا نتحدث عن أمة قال أعظم كتبها القرآن عن القتل (من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا)

إن الذين أيدوا قتلة ومتشددي ومتعصبي طوائفهم عاد الشر عليهم أضعاف ما كان سيحل بهم فيما لو واجهوهم ،وها هو البابا شنودة يقول: (إذا جاءت أمريكا لحماية أقباط مصر، فليمت الأقباط و لتحيا مصر) لأن الوطن عنده أساس والانتماء للوطن ضرورة للتدين الصحيح،إن الفرق بين طائفة تحارب دواعشها وأخرى تجعلهم ممثلين لها هو كالفرق بين قصة الشوكة والوردة.

قالت الشوكة للوردة : ما داسني أحد إلا وأدميت قدمه

فقالت الوردة للشوكة : والله لو داسني أحد لقتلت نفسي

إن الفارق هو ثلاث كلمات : كرامة وشرف وأخلاق...

ليتك لا تدري

(من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله) الإمام علي عليه السلام

فجأة توفي وتركني وحيدة ، آه يا صابر كنت رجلاً كبيراً في أمة كتب عليها قتل أبطالها ونفيهم وتشريدهم ونعته المجلة التي أعمل فيها و كنت أرسل لها مقالات تنشر أسبوعياً ، تحت عنوان مقالة (ليتك لا تدري) في زاوية (لا أدري) التي نشرت فيها كامل القصة ومن جملة ما قرأته و كتبته اذكر لكم:

(في أمةٍ يتحول معلمها تلميذاًوالتلميذ معلماً وعالمها يبحث عن عمل ، في أمةٍ يتحول طبيبها مصرفيا همه الوحيد جمع الأموال من سرقة أدوية وأموال وصحة المرضى، ومريضها يتحول طبيبا ليحفظ نقوده ويوفرها لتوافه الأمور، في أمةٍ يتحول قطاع طرقها أبطالا وأبطالها مجرمين، في أمةٍ تشهد كل يوم ظهور مئة رقاصة تحت عنوان مطربة ، وتغييب ألف مفكرٍ وكاتبٍ وعالم تحت عنوان لا إمكانات، في أمةٍ سبق الموصوف فيها الصفة ، فتفوق منافقوها على النفاق كصفة ، حتى صار النفاق يخاف أن يضيع شكله ومضمونه ، لأن وصفا أكثر تعبيراً عن الكذب والاحتيال وقلة المبادئ حل مكانه لغوي ومعنوي ، صارت كلمة أعرابي تعني كل سيئات العالم، في أمة شعور الأغنياء فيها يعتبر صدقة تطوعية لا إجبار فيها ومقبولة وشهادة وموت فقرائها زكاة مفروضة ، في أمة تخرج ثوراتها ضد الحياة بكل معانيها ، في أمةٍ تقدس الجهل وتدمر أصالتها وآثارها بيد أبنائها ، في أمةٍ يتحول الفكر الذي أنارت به العالم سكينا يقطع أوصالها، في أمة يريد متشددوها توحيد العالم تحت

سلطانهم ولا شيء يمكن أن يتحمل ظلمهم وجهالتهم، في أمةٍ لو غير إنسانها هويته وجنسيته ودخل أغنى وأقوى دول العالم لظلت هويته القومية لعنة تطارده في مجتمعه الجديد ، في أمة يهدم و يخرب مجرموها تراثها و حضارتها تحت مسمى تحطيم التماثيل، وهم يهربونها ويبيعونها لعدوٍ يحتل أرضهم و ينتهك كل يوم كرامتهم،في أمة علماؤها أصنام لا حول لهم ولا قوة حقاً ليتك لا تدري،على أنك يجب أن تدري شئت أم أبيت، أن **ما نعانيه اليوم ليس إلا** من الجهل الذي يحلل الفساد ، ويحارب العلم متزامناً مع اندثار مكارم الأخلاق، بل وربطها بلباس المرأة ، أو طائفة الإنسان ، أو قوته وماله ، وغياب ثقافة الحوار إن لم نقل الحكم على من يختلف بالرأي بالموت أو بالسجن لمجرد خلافٍ بالرأي لا أكثر، إن أي أمة لا يمكنها أن تصمد كما صمدت أمتنا عبر تاريخها الطويل ، لأنها كانت أمة يغلب عليها احترم علماءها و أبطالها وتاريخها ، مرتبطة بحاضرها وتخطط لمستقبلها و تقرأ تاريخها للعبرة ، لا للتقديس أو للتجريح بمن بيننا وبينهم ألف عامٍ وأكثر، إنها أمة تحتاج الأحرار من الشر والعمالة ليقودوها ، ولكي نبقى يجب أن نزرع التنور والعلم والحوار والتسامح بين أطفالنا، أمتنا أمة تدثرت بالعروبة ، والعروبة إن كانت من أكبر القواسم الثقافية المشتركة لأبناء المنطقة ، لكنها لا تكفي بغياب مشروعٍ نهضوي ، يحترم الخصوصيات الثقافية للإثنيات والأقليات ، ويرسخ مفهوم الوطن والمواطنة، لذلك إن أردنا أن ينتصر المد الحضاري والاتجاه القائم على التخطيط العلمي والإصلاحي الذي يحترم حقوق الإنسان وكرامته قبل كل شيء ، ويضمن

حريـة الاعتقـاد والتعبيـر لكـل فـردٍ، لابـد لنـا مـن تفعيـل و تنشـيط مجتمـعٍ مـدنيٍ ، يقـوي دور الدولـة و مؤسسـاتها بحكـم القـانون المدني والدستور فقط لتعود الأمة أمة لا أمما).

سألت الكاتب الذي كتب المقال : هل عندك أمل ؟

رد بتكشـيرةٍ معلقـة علـى جبينـه: نعـم لأننـا كبشـر نتمسـك بعـود الثقـاب فـي الظلمـات، فقاطعتـه: مـع علمنـا المسبق والمؤكـد بقصـر عمـره وضـعف الـدفء والحـرارة اللاتـي يولـدهما فأكمـل جملتـي: (إلا أنها إرادة الحياة)

و أكملـت وأنـا أحـدث نفسـي بطريـقٍ متعـرجٍ وطويـلٍ وقـاسٍ ، يبـدو أنه سيرافقني و يرافق أجيالاً بعدي:

كلنا مـدانون لأننـا لـم نحـارب التشـدد ولـم نرفـع التنـور شـعارا ، كـان الله فـي عـون أولادنـا لأننـا أكلنـا العنـب والحصـرم ولـم نتـرك سـوى خرائـب لا يحسـدون عليهـا، إن نـور الشـمس يمكـن أن يحجبـه دخان تنور.

وبقيـت كلمـات صـابر تـدور وتـدور باحثـة لحـد يومنـا هـذا عـن فكـر يرتـديها ويحتضـنها لينتهـي عصـر الخلافـات ويبـدأ عصـر جديـد للسلام .



صورة للروائي: أحمد ابراهيم.

المؤلف في سطور:

- من مواليد عام 1986 دمشق
- حاصل على ليسانس من جامعة دمشق /كلية الآداب قسم الجغرافية.
- حاصل على دبلوم تأهيل تربوي من جامعة دمشق/ كلية التربية.
- حاصل على ماجستير في العلوم و البحوث السكانية من المعهد العالي للسكان بدمشق.
- يتابع حالياً دراسته بالمعهد العالي للترجمة و الترجمة الفورية بدمشق.
- له مجموعة قصصية بعنوان ظل الجبان فراشه قيد الطباعة.

بين دبي ودمشـق مرورا ببغـداد
وبيروت و القـاهـرة نعيــش مـع
الكاتب قصة حب من طراز رفيع ..
إنها بالفعل لا أدري ..
أو تلك التي اسـمها لا أدري كما
يقول كاتبها..